بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الحسن بن علي عليه السلام

الشيخ محمد حسن آل ياسين

العتبة الحسينية المقدسة

مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

العراق - النجف الأشرف
www.imamhassan.org
info@imamhassan.org
+964 7803358020

هوية الكتاب

اسم الكتاب:..................................... **الإمام الحسن بن علي عليه السلام**

المؤلّف:..................................... **الشيخ محمد حسن آل ياسين**

الطبعة:..................................... **الأُولى**

سنة الطبع:..................................... **١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م**

الكمّية:..................................... **١٠٠٠ نسخة**

الناشر:..................... **مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصّصية**

الإخراج الفنّي:..................... **وحدة الإخراج الفنّي**

الإمام الحسن بن علي عليه السلام

الشيخ محمد حسن آل ياسين

مقدّمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الخلق أجمعين محمّد وآله الطيِّبين الطاهرين، واللعن الدائم علىٰ أعدائهم أجمعين إلىٰ قيام يوم الدين، آمين ربَّ العالمين.

أهل البيت عليهم السلام شخوصٌ نورانيَّة وأشخاصٌ ملكوتيَّة، منها ولأجلها وُجِدَ الكَوْن، وإليها حسابُ الخَلق، يتدفَّقون نوراً وينطقون حياةً، شفاههم رحمة وقلوبهم رأفة، وُضِعَ الخير بميزانهم فزانوه عدلاً، ونَمَت المعرفة علىٰ ربوع ألسنتهم فغذّوها حكمةً.

أنوارٌ هداة، قادةٌ سادات (**ينحدرُ عنهم السيل ولا يرقىٰ إليهم الطير**)، ألفوا الخَلق فألفوهم، تصطفُّ علىٰ أبوابهم أبناء آدم متعلِّمين مستنجدين سائلين، وبمغانمهم عائدين.

لا يُكرِهون أحداً علىٰ موالاتهم ولا يجبرون فرداً علىٰ اتِّباعهم، يُقيِّد حبُّهم كلَّ من استمع إليهم ويشغف قلبَ كلِّ من رآهم، منهجهم الحقُّ وطريقُهم الصدق وكلمتُهم العليا، هُم فوق ما نقول ودون ما يُقال من التأليه، هُم أنوار السماء وأوتاد الأرض.

والإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام هو أحد هذه الأسرار التي حار الكثير في معناها وغفل البعض عن وجه الحكمة في قراراتها وباع آخرون دينهم بدنيا غيرهم فراحوا يُسطِّرون الكذب والافتراءات عليه والتي جاوز بعضها حدَّ العقل ولم يتجاوز حدَّ الحقد المنصبِّ علىٰ بيت الرسالة.

وقد اهتمَّ مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصّصية بكتابة البحوث والدراسات وتحقيق المخطوطات التي تُعنَىٰ بشأن الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام ونشرها في كتب وكتيّبات بالإضافة إلىٰ نشرها علىٰ مواقع الانترنت وصفحات التواصل الاجتماعي التابعة للمركز.

بالإضافة إلىٰ النشاطات الثقافيَّة والإعلاميَّة الأُخرىٰ التي يقوم بها المركز من خلال نشر التصاميم الفنّية وإقامة مجالس العزاء وعقد المحاضرات والندوات والمسابقات العلميَّة والثقافيَّة التي تثرىٰ بفكر أهل البيت عليهم السلام وغيرها من توفيقات الله تعالىٰ لنا لخدمة الإمام المظلوم أبي محمّد الحسن المجتبىٰ عليه السلام.

وهذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ هو أحد تلك الثمار التي أينعت والتي لا تهدف إلَّا إلىٰ بيان شخصيَّة الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام بكلِّ أبعادها المضيئة ونواحيها المشرِقة، ولرفد المكتبة الإسلاميَّة ببحوث ودراسات عن شخصيَّة الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام، ومن الله التوفيق والسداد.

العتبة الحسينية المقدَّسة

مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصّصية

كاظم الخرسان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه وسيد رسله محمد؛ وعلى آله الطيبين الطاهرين المنتجبين.

الحديث عن الأئمة الاثني عشر عليهم السلام أجمل الحديث، وسيرتهم العطرة المضمخة بالأريج أعذب السير، وحياتهم المعطاء الدفاقة بالخير أسمى ما عرفت البشرية من حياة تنشر السعادة وتمنح الحب وتغمر بالنور.

ومنذ حين، ونفسي تسوقني – وبعنف – إلى كتابة دراسات تتميز بالاختصار والتكثيف، تعنى بتسجيل لمحات من تاريخ هؤلاء القادة العظام أبواب علم النبوة وخُزّان الوحي والتنزيل، باعتبار أن تاريخهم الفواح هو تاريخ الإسلام بما حمل من هدي واشراق وحياة؛ وبما ألهم من عزم وتضحية وفداء، وباعتبار أن شباب المسلمين اليوم – وهم على أعتاب تأسيس مجتمعهم الحضاري الجديد – بحاجة ماسة إلى الاطلاع على ذلك كله، بأمل أن يقتبسوا

منه مزيداً من العلم والمعرفة؛ ومزيداً من الثبات والصمود، مضافاً إلى مزيد من العناية ببناء الروح والنفس والخلق والضمير.

وعشت أمام هذه الرغبة النفسية الملحة بين عاملين يتنازعان الأخذ والرد... بين مانع يمنع ودافع يدفع.

وكان المانع لي عن التقدم نحو هذه المهمة – وأقولها بصراحة متناهية – شعوري بشموخ هذا الموضوع وبتضاؤلي أمامه حتى لكأني أرتجف رهبة وفرقاً من الإقدام على ولوج هذا الخضم العميق البعيد الغور.

وكان الدافع لي على اقتحام هذا اللج الخطير – وأقولها بالصراحة نفسها – شعوري خلال وقوفي على البحوث المعنية بهذا الموضوع بأن هناك جوانب رئيسة في تاريخ الأئمة وسيرتهم وتراثهم الفكري لم تبحث بالشكل الذي يجب أن يكون عليه البحث في العرض والسرد والأداء؛ ولم تسلط عليها الأضواء بالمقدار الذي تستحقه من جلاء وكشف؛ ولم تجمع أطرافها المهمة في دراسات موجزة مبسطة تغني القارئ المعاصر – وهو العَجِلُ المستوعَبُ الوقت – عن الرجوع إلى الدراسات الضخمة والموسوعات الكبرى والضياع بين أسانيدها المعنعنة ومجلداتها المتعددة ومعلوماتها الموزعة المبعثرة.

وعاودتني الفكرة – قبل فترة من الزمن – وهي أشد دفعاً ووقعاً، وساورتني الرغبة وهي أعنف جموحاً وهيمنة، فلم أجد بُدّاً من الانصياع والرضوخ، عسى أن يحالفني التوفيق في تقديم هذه «السلسلة» على النحو الذي رجوتُ لها، قياماً بواجب الوفاء بكل أطراف البحث ونقاطه الرئيسة، واعتماداً على الحياد والتجرد والموضوعية في النقل والنقد والتحليل.

وهكذا بدأتُ العمل في الإعداد لهذه الدراسات.

وعلى هدى هذا المنهج كتبت هذه الصفحات.

والله المسؤول أن يكتب لي في مسعاي هذا بعض الفوز والنجاح في انتفاع القرّاء بهذه الرسائل، وبعض الأجر والثواب في كتابه وميزانه، وهو ولي ذلك كله.

وستُعنى هذه الرسالة باستعراض سيرة الإمام الثاني من أئمة الهدى، حبيب المصطفى، وسيد شباب أهل الجنة، الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

ولقد حملتْ هذه السيرة – وايم الحق – من الوضاءة والقدسية والأريج ما تجلت فيها وضاءة الإسلام وقدسية القرآن وعطر النبوة بأسمى ما عرف الإنسان من نقاء وقدسية وأريج.

وحيث أنه لم يكن بمقدور هذه الصفحات المحدودة أن تحمل إلى القارئ هذه السيرة بأكملها؛ فقد اكتفيت باستعراض الحلقات الرئيسة والنقاط الأساسية منها؛ منذ ولادة الإمام عليه السلام في بيت النبوة ونشأته في أحضان جدّه الأعظم صلى الله عليه وآله، مروراً بما عاصره هذا الفتى من أحداث ووقائع في أيام خلافة أبي بكر وعمر وعثمان؛ وما مارس من مهام وواجبات في أيام خلافة أبيه، وانتهاءً بما وقع بعد بيعة المسلمين له بالخلافة أثر استشهاد علي عليه السلام؛ من تمرّد معاوية وحزبه عليه؛ ومن وقوع الحرب بينهما؛ ومن زوابع الفتن والمشاكل التي فرضت الصلح فرضاً بعدما انسدت كل الأبواب عدا هذا الباب؛ ومن معاهدة الصلح وشروطها وما فعل كل منهما في الوفاء بما ورد في تلك المعاهدة من شروط وعهود.

ولا مناص لي – وأنا بعدُ في مقدمة الكتاب – من الاعتراف بكل موضوعية وصدق بأني لم آتِ بجديد في بحث صلح الإمام عليه السلام مع معاوية، فقد سبقني إلى ذلك – بكل تفصيل وشرح وتحليل – سماحة عمي الإمام المغفور له الشيخ راضي آل ياسين قدّس الله سره في كتابه القيم الجليل «صلح الحسن» الذي بحث فيه هذا الجانب من تاريخ الإمام عليه السلام فأوعى ولم يدع فيه زيادة لمستزيد، بل لست

مغالياً أو مبالغاً لو ادعيت أن كل باحث في هذا الموضوع مغترف منه ومتأثر به وعيال عليه.

والله المسؤول – أولاً وأخيراً – أن يسدِّد الخطى على الطريق؛ ويمدَّ بمزيد من التوفيق، إنه خير مسدد وموفق ومعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العراق – بغداد – الكاظمية

محمد حسن آل ياسين

* * *

الإمام الحسن عليه السلام منذ ولادته حتى استشهاد أبيه عليه السلام

ويطل الإمام الحسن عليه السلام على الدنيا الإسلامية رجلاً عظيم الهيبة، جليل الشأن، أثيل المجد، كريم اليد، عف اللسان، قوي الجنان، صلب العود، عذب المنطق، حلو الشمائل، تشير إليه الأيدي بإكبار، وتنطق باسمه الأفواه بإجلال، وتتطلع إليه العيون بتقديس، وتنعقد حوله الحلقات بتقدير. فهو ملء الأسماع والأبصار، ومهوى القلوب والأفئدة.

كان اليوم الخامس عشر من شهر رمضان في سنة ثلاث للهجرة(١) يوماً مشهوداً في تاريخ العش السعيد الذي جمع النورين: نور علي ونور فاطمة عليهما السلام.

لقد كانت الفرحة فيه غامرة، والوجوه مستبشرة، والقلوب مفعمة بالحبور الذي لا يحد والبهجة التي لا توصف.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٤٩، وتاريخ بغداد: ١/ ١٤٠، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ٩.

وكيف لا. وهذه فاطمة الزهراء حبيبة محمد ووحيدته[1]، وسيدة نساء العالمين، وزوجة سيد الوصيين وأمير المؤمنين، تنتظر الحدث السعيد.

وما هي إلاّ ساعات، وإذا بالبشرى تصل إلى النبي صلى الله عليه وآله بإطلالة سبطه الأول المبارك.

وسارع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى دار فاطمة عليها السلام، فَدُفِع إليه هذا المولود الحبيب، فأخذه بيديه، وأذَّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم قال لعلي عليه السلام: «أي شيء سميتَ ابني؟ قال: ما كنتُ لأسبقك بذلك، فقال: ولا أنا سابق ربي به. فهبط جبريل فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: عليٌّ منك بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبيَّ بعدك فسمِّ ابنك هذا باسم ولد هارون، فقال: وما كان اسم ابن هارون يا جبريل؟ قال: شُبَّر، فقال صلى الله عليه وآله: إن لساني عربي، فقال: سَمِّه الحسن»[2]، فسمّاه حسناً، وكنّاه أبا محمد.

---

(١) يراجع كتابنا «النبوة»: فقد رجحنا فيه أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن له من البنات غير فاطمة عليها السلام، وأن زينباً ورقية وأم كلثوم لم يكنَّ من صلبه بل هنَّ بنات خديجة من زوجيها السابقين.

(٢) ذخائر العقبى: ١١٨-١٢٠، وتاريخ الخميس: ١/ ٤١٧-٤١٨.

وفي اليوم السابع من ولادة الحسن الزكي أمر النبي صلى الله عليه وآله أن يُعَقَّ عنه بكبشين، وأن يُحْلَق رأسه ويتصدق بزنة الشعر فضة، ثم طلى رأسه بيده المباركة بالطيب والخلوق. وختنه لسبعة أيام أيضاً[١].

وبدأت أيام العمر الميمون تمر بهذا الوليد السعيد وهو يتقلب في أحضان جده الأعظم صلى الله عليه وآله ويقضي ساعات ليله ونهاره بين آية كريمة وحديث شريف ومَلَكٍ مقرب ونبي مرسل، ويعيش خلال ذلك في بيت محمد – وهو مختلف الملائكة ومعدن العلم ومهبط الوحي – عيش الرغد والرفاء والهناء.

ولا نريد أنْ ندخل في خضم البحث التاريخي الذي نروي فيه يوميات حياة هذا الطفل الأثير تحت ظلال جدّه الوارفة ورعايته الكريمة، ولكننا نروي بضع نصوص ووقائع لتكون أنموذجاً لتلك اليوميات:

١ – شوهد النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم والحسن عليه السلام على عاتقه وهو يقول:

«اللهم إني أُحبُّه فأحِبَّه»[٢].

---

(١) الاستيعاب: ١/ ٣٦٨، وذخائر العقبى: ١١٨–١٢٠، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ٩–١٠.

(٢) صحيح البخاري: ٥/ ٣٣، وصحيح مسلم: ٧/ ١٣٠.

٢ – كان النبي صلى الله عليه وآله يضم الحسن عليه السلام إلى صدره ويقول: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»(١).

٣ – أتى الحسن عليه السلام يوماً يركض حتى قعد في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل يعبث بيديه بلحية جدّه «ورسول الله صلى الله عليه وآله يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول: اللهم إني أحبه فأحبه وأحب مَن يحبه. يقولها ثلاث مرات»(٢).

٤ – «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب، إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام عليهما قميصان احمران، يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه»(٣).

٥ – «كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام، فلمّا رآهما صلى الله عليه وآله قام لهما واستبطأ بلوغهما إليه، فاستقبلهما وحملهما على كتفيه وقال: نعم المطيُّ مطيكما ونعم الراكبان أنتما»(٤).

---

(١) سنن ابن ماجة: ١/ ٥١، ومثله في صحيح مسلم: ٧/ ١٢٩ و١٣٠، وسنن الترمذي: ٥/ ٦٦١.

(٢) حلية الأولياء: ٢/ ٣٥.

(٣) سنن الترمذي: ٥/ ٦٥٨.

(٤) ذخائر العقبى: ١٣٠.

٦ – كـان النبـي صلى الله عليه وآله يومـاً عـلى المنـبر «والحسـن عليه السلام إلى جنبـه ينظـر إلى الناس مـرة واليـه مـرة ويقـول: ابنـي هـذا سـيد، ولعـل الله أن يصـلح به بين فئتين من المسلمين»[١].

٧ – كـان النبـي صلى الله عليه وآله يصـلي، فجـاء الحسـن عليه السلام وهـو صـبي صـغير فـرأى جـدَّه سـاجداً، فـربما «يصـير عـلى ظهـره أو رقبتـه فيرفعـه رفعـاً رفيقاً، فلما صـلى صـلاته قـالوا: يـا رسـول الله إنـك لتصـنع بهـذا الصـبي شـيئاً لا تصـنعه بأحـد، فقـال: إن هـذا ريحـانتي وإن ابنـي هـذا سـيد، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[٢].

٨ – تقـول السـيدة عائشـة: «خـرج النبـي صلى الله عليه وآله غـداةً وعليـه مـرط مرجَّـل مـن شـعر أسـود، فجـاء الحسـن بـن عـلي فأدخلـه، ثـم جـاء الحسـين فـدخل معـه، ثـم جـاءت فاطمـة فأدخلهـا، ثـم جـاء عـلي فأدخلـه، ثـم قـال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾»[٣].

وفي نص آخـر: أن هـذه الآيـة قـد نزلـت عـلى النبـي صلى الله عليه وآله في بيـت أم سـلمة، فـدعا النبـي صلى الله عليه وآله عليـاً وفاطمـة وحسـناً وحسـيناً عليهم السلام فجللهـم

(١) صحيح البخاري: ٥/ ٣٢ و٩/ ٧١.

(٢) حلية الأولياء: ٢/ ٣٥.

(٣) صحيح مسلم: ٧/ ١٣٠.

بكساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»(١).

٩ – لما نزل قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهَّ عَلَى الْكاذِبِينَ**﴾ خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه مرط من شعر أسود، وكان احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، وهو يقول: إذا دعوتُ فأمِّنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا... الخ(٢).

١٠ – مرض الحسن والحسين عليهما السلام ذات يوم فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرتَ على ولدك، فنذر عليٌّ وفاطمة وفضة جارية لهما إن شفاهما الله تعالى أن يصوموا ثلاثة أيام، فشُفِيا، وما معهم شيء. فاستقرض عليّ... ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة عليها السلام صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم ووضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال:

---

(١) سنن الترمذي: ٥/ ٦٦٣.

(٢) تفسير الرازي: ٨/ ٨٠، ويراجع مسند الإمام أحمد: ١/ ١٨٥.

السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة. فآثروه، وباتوا ولم يذوقوا إلاّ الماء. وأصبحوا صائمين، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم، فآثروه. وجاءهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ علي عليه السلام بيد الحسن والحسين ودخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، قال صلى الله عليه وآله: ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة عليها السلام في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها، فساءه ذلك، فنزل جبريل عليه السلام وقال: خذها يا محمد هنّأك الله في أهل بيتك[1] فقرأ عليه من سورة الدهر قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللهِ يُفَجِّرُونَها تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخافُونَ يَوْماً كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً**﴾.

وهكذا تتوالى على الحسن السبط المجتبى عليه السلام هذه الأوسمة السماوية المقدسة بتدفق مستمر وتسلسل لا يعرف الانقطاع

---

(١) تفسير الرازي: ٣٠/ ٢٤٤.

والتوقف، حتى لتكاد تكون يوميات طفولته الصاعدة وصباه الطالع. وإنما لتتنزل – تارةً – على شكل قرآن مجيد خالد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتتلألأ – مرة – على لسان رسول صادق أمين ما ينطق عن الهوى وما يلفظ عن الحب الأعمى.

وواضح أن الهدف من كل ذلك لم يكن مجرد إعلان يثير الانتباه أو إضاءة تخلب الأبصار، وإنما كان ذلك إعلاماً للمسلمين أجمعين بقدسية أهل البيت عليهم السلام، وكرامتهم على الله، وكونهم حملة أعباء الرسالة وسفن النجاة وحفاظ الشرع وأئمة الدين وخلفاء الله في بلاده وحججه على عباده، مما لا مجال لاستيعابه وشرحه بالتفصيل في هذه الدراسة المختصرة.

وتأكيداً لهذه الفكرة وتعميقاً لها في نفوس المسلمين أُثِرَتْ عن النبي صلى الله عليه وآله خلال السنوات الأخيرة من عمره الشريف نصوص أخرى في تكريم سبطه الزكي الحبيب وابراز شأنه الكبير في المسيرة الإسلامية، ودوره المهم المنتظر في صيانة وحدة هذه الأمة وتدعيم عقيدتها وتأمين بقائها والحفاظ على دينها:

كقولـه صلى الله عليه وآله: «مـن أحـب الحسـن والحسـين فقـد أحبنـي، ومـن أبغضهما فقد أبغضني»[١].

وقولـه صلى الله عليه وآله لعـلي وفاطمـة والحسـن والحسـين عليهم السلام: «أنـا سـلم لمـن سالمتم وحرب لمن حاربتم»[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٣].

وقوله صلى الله عليه وآله: «إن الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا»[٤].

وقولـه صلى الله عليه وآله عـلى المنـبر: «إن ابنـي هـذا سـيد يصـلح الله عـلى يديـه بين فئتين عظيمتين»[٥] أو «بين فئتين من أمتي»[٦].

وكـان آخـر هـذه النصـوص مـا روتـه الزهـراء عليها السلام مـن أنهـا أتـت بالحسـن والحسـين عليهما السلام أباهـا رسـول الله صلى الله عليه وآله في شـكواه التـي مـات فيهـا

(١) سنن ابن ماجة: ١/ ٥١.

(٢) سنن ابن ماجة: ١/ ٥٢.

(٣) سنن الترمذي: ٥/ ٦٥٦ و٦٦١.

(٤) سنن الترمذي: ٥/ ٦٥٧.

(٥) سنن الترمذي: ٥/ ٦٥٨، وسنن أبي داود: ٢/ ٥١٩ - ٥٢٠.

(٦) سنن أبي داود: ٢/ ٥١٩.

فقالت عليها السلام: تورثهما يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله: أمّا الحسن فله هيبتي وسؤددي، وأمّا الحسين فله جرأتي وجودي»[١].

وفوجئ المسلمون – في ذلك الصباح الأسود الحزين – بوفاة رسول السماء وقائد المسيرة ونبي الدين ورئيس الدولة، فكان لذلك المصاب من هول الوقع وقسوة الأثر ما لا يستطيع القلم شرحه وبيانه في كلمات.

وكانت مصيبة أهل البيت عليهم السلام بهذه الفاجعة أشد وطأً وأفظع ألماً وأعظم تأثيراً، لعلمهم بما ستؤول إليه أمور الدين وشؤون المسلمين من بلبلة كبيرة، وفوضى خطيرة، واختلاف حاد قد يعرِّض هذا البناء العظيم للتصدع والاهتزاز.

وكانت صدمة سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الحادث الجلل أشد وقعاً وحزناً وجزعاً وهلعاً، فقد كانت صلتهما بجدهما صلة فريدة لم نجد لها مثيلاً بين صلات الأجداد بالأسباط والأحفاد، ولا عجب – إذن – إذا كانا ينفجران بالبكاء والنحيب كلما تذكرا تلك العواطف المدهشة التي كان يغمرهما جدهما بها في كل صباح ومساء، خصوصاً وان عمرهما يومذاك كان في أوله ومقتبله، حيث لم يتجاوز الحسن السابعة إلا شهوراً، ولهذا لم يكن لديهما من

(١) ذخائر العقبى: ١٢٩.

السيطرة على الأحزان والشجون ما يكون لدى الكبار من الناس الصابرين المحتسبين.

ولعل من أبرز ما شاهده الإمام الحسن ﷺ في تلك الأيام – وهو ذلك الفتى اليافع الغض الاهاب -: ما فعلته العنعنات والعصبيات القبلية من حجب الخلافة عن صاحبها الشرعي المنصوص عليه، وهو أبوه، ومن الامتناع عن تطبيق نص جده على الخليفة من بعده، وهو ذلك النص الصحيح الصريح.

فأصبحت الخلافة – منذ اليوم – مفتاح المشاكل وباب المنازعات وصندوق البارود الجاهز للانفجار في كل حين.

ولا أريد الدخول في سرد تفاصيل ما وقع في تلك الأيام العصيبة السوداء التي تلت وفاة رسول الله ﷺ، فإن ذلك مما لا يتسع له المجال المحدود الذي التزمنا به في هذه السلسلة، كما أنه قد يثير من الاحن والحزازات ما نحن في غنى عنه بل أحوج ما نكون إلى تجاوزه ونسيانه في يومنا الحاضر.

ولكن ذلك لن يكون مانعاً من الإشارة إلى بضعة وقائع عاشها الحسن وعاصرها وهو في تلك السن الغضة والفتوة اليانعة، ولابد أنها قد تركت من بصمات الألم والحزن في نفسه ما لا يزول أثره على مرِّ الأيام ولا يندمل جرحه على كر السنين.

ولقد كان من أول ما شاهد بعد حجب الخلافة عن صاحبها أن كل بني هاشم وكثيراً من المهاجرين وكل الأنصار أو جلّهم لم يبايعوا الخليفة الجديد، وأن الحكومة الجديدة لم تجد بُدّاً من استعمال وسائل الإرهاب والبطش والإكراه لحمل الناس على البيعة مما مرّ تفصيله في كتابنا السابق (الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) فلا نكرر ولا نعيد.

ولكن الشيء الذي لا مناص من ذكره هنا لارتباطه بتسلسل البحث ما شاهد الحسن من تعرُّض البيت الذي يسكنه علي وفاطمة عليهما السلام – وهو بيت النبوة والإمامة – إلى ذلك الإرهاب المشار إليه، ومن إتيان بعض الناس بقبس نارٍ بقصد إحراق الدار وإجبار من كان فيها – وفي طليعتهم علي والزبير – على البيعة والطاعة[1].

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٢٠٢ و٢٠٥ و٢٠٨ وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٠٥ وشرح نهج البلاغة ١/ ١٧٤ و٢/ ٢٣ و٤٦-٤٧ و٥٦ و٦/ ١١ و٤٦-٤٧ و٥١ وتاريخ أبي الفدا: ١/ ١٥٦.

ثم شاهد بعد ذلك كيف وضعت السلطة يدها على أرضٍ كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد وهبها لابنته الزهراء عليها السلام، وتُعْرَفُ بـ «فدك»[١]، وكيف أن الزهراء قد ذهبت إلى الخليفة تطالبه بملكها وتشجب تلك المصادرة التي لم يكن لها أي مبرر مقبول أو سبب مشروع، وكيف استدلت - سلام الله عليها - في رد ادعاءات السلطة بعدد من الآيات الكريمة التي تثبت وراثة الأولاد للآباء على وجه العموم ووراثة أولاد النبيين لآبائهم على وجه الخصوص، وكيف أن ذلك كله لم يُجْدِ نفعاً ولم يلق سمعاً، بل أصرّ الخليفة على موقفه كل الإصرار، «فهجرته فاطمة»[٢]، «وماتت وهي غضبى»[٣]،

---

(١) يراجع في موضوع (فدك): شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٠٩-٢٨٦، فقد أورد ابن أبي الحديد المعتزلي هناك بحثاً مفصلاً جمع فيه سائر الأقوال والآراء وما تساجل به المؤيدون والمعارضون حول هذا الموضوع.

(٢) يراجع في ذلك: صحيح البخاري: ٥/ ١٧٧ ومسند أحمد: ١/ ٦ و٩ وشرح نهج البلاغة: ٦/ ٤٦ والبداية والنهاية: ٥/ ٢٨٥ و٦/ ٣٣٣ ووفاء الوفا: ٢/ ٩٩٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٦/ ٤٩.

ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَن أغضبها أغضبني»[١] و«يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها»[٢].

ويروي ابن قتيبة ان الخليفة أبا بكر وعمر استأذنا للدخول على الزهراء عليها السلام للاعتذار منها عما وقع «فلم تأذن لهما. فأتيا علياً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها فلم تردّ السلام، فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحب إليّ من قرابتي، وإنك لأحب إليّ من عائشة ابنتي... فقالت عليها السلام: أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت: نشدتُكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: «رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني»، قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله، قالت: فإني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونّكما إليه. فقال

---

(١) صحيح البخاري: ٥/ ٣٦.

(٢) صحيح مسلم: ٧/ ١٤١ وسنن ابن ماجة: ١/ ٦٤٤ وسنن الترمذي: ٥/ ٦٩٨ وسنن أبي داود: ١/ ٤٧٨ ومسند أحمد: ٤/ ٣٢٨ وحلية الأولياء: ٢/ ٤٠.

أبـو بكـر: أنـا عائـذ بـالله تعـالى مـن سـخطه وسـخطك يـا فاطمـة.. ثـم خرج باكياً[١].

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي تعليقاً على ذلك:

«والصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر»[٢].

وخلاصة القول:

فقـد كـان لهـذه المشـاهدات المـرة الأليمـة التـي تزاحمـت متدافعـة عـلى هـذا الصـبي آثارهـا العميقـة وانعكاسـاتها البالغـة عـلى نفسـه الغضة، ولقـد تشـابكت عليـه ذات يـوم وهـو يـرى الخليفـة جالسـاً عـلى منـبر جـده صلى الله عليه وآله فأخـذت بأقطـار صـبره وأطـراف حلمـه واتّزانـه، فلـم يسـتطع تحمـلاً ولم يطـق صـبراً فقـام إليـه قـائلاً: «أنـزل عـن منـبر أبي، فقال أبو بكر: صدقتَ، والله إنه لمنبر أبيك لا منبر أبي»[٣].

ثـم كـان ممـا زاد في آلام هـذا الفتـى ألمـاً وفي أشـجانه شـجناً أن يُفْجَـع بأمـه الزهـراء البتـول وهـو في هـذا العمـر المبكـر، فيحـرم حنانهـا وبرهـا وحـدبها وهـو في أشـد الحاجـة إليـه، وربـما كـان ممـا يضـاعف

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٣-١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٦/ ٥٠.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٦/ ٤٢-٤٣.

الحـزن في نفسـه إحساسـه بعنـف تلـك الفجـائع والمصـائب التـي لاقتهـا أمـه في هـذه الفـترة القصـيرة – وأنها وايـم الحـق لأكثـر مـن الطاقـة وأعظم من قـدرة الإنسـان في التحمـل – ولكـن سـيدة نسـاء العـالمين قـد قابلت كـل ذلـك بصـبر دونـه الجبـال الراسـيات، وبجلـد دونـه الأطـواد الشـامخات، حتـى قضـت نحبهـا ولحقـت بربهـا وأبيهـا، وفارقـت هـذه الأرض وهـي مهضـومة الحـق، كسـيرة الـنفس، منهـدَّة الـركن، عاجّـة بالغضــب والأذى مــن أولئــك الــذين بــايعوا محمــداً صلى الله عليه وآله عــلى الســمع والطاعـة، ثـم لم يكـن مـن مـردود لـذلك السـمع والطاعـة إلاّ القهـر والإرهـاب لآل محمـد بعـد وفاتـه وإلاّ ذلـك العنـف والتهديـد بـالبطش والنار لودائع الرسالة وبقية النبوة.

وهكـذا تنتهـي هـذه الفـترة المريـرة والمرحلـة القاسـية، والحسـن عليه السلام يتنقـل فيهـا مـن ألم إلى ألم ومـن فجيعـة إلى فجيعـة ومـن محنـة إلى محنـة، ولكنــه – وعــلى الــرغم مــن ذلــك كلــه – لم يكــن إلاّ مــن أولئــك الصـابرين ﴿**الَّـذِينَ إِذا أَصـابَتْهُمْ مُصِـيبَةٌ قـالُوا إِنَّـا للهَِّ وَإِنَّـا إِلَيْـهِ راجِعُـونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾.

ودارت الأيام دورتها الرتيبة المنتظمة كما اعتادها الناس.

وما هي إلا سنوات، وإذا بالحسن قد تخطى مرحلة الطفولة والصبا صعداً نحو الشباب المتدفق الريان، وإذا برجولته الفذة قد تفتحت فيه كأروع ما تتفتح رجولة الرجال نضجاً وسمواً وفتنة، وإذا به ذلك النموذج المتفرد بين الناس بما يحمل من سمات الجمال في الخَلق والكمال في الخُلق، ملء الأسماع والأبصار والأفئدة.

ولا عجب في ذلك ولا غرو، فقد كان هذا كله مقتبساً من رسول الله صلى الله عليه وآله بحكم ذلك الإرث النسبي الكريم، ومعزواً إليه ببركة ذلك الشبه المدهش الفريد.

وقد روى البخاري والترمذي بسنديهما: أنه «لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي»[1].

كما روى ابن حبيب أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت إذا رقّصت الحسن قالت:

وابأبي شبه أبي غير شبيه بعلي[2]

كذلك روى ابن أبي الحديد المعتزلي: أن الحسن كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً[3].

---

(١) صحيح البخاري: ٥/ ٣٣ وسنن الترمذي: ٥/ ٦٥٩.

(٢) المحبر: ٤٦.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٨٠ وورد ذلك أيضاً في تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٠١.

وأنه كان «أصبح الناس وجهاً، كان يُشَبَّه برسول الله صلى الله عليه وآله»[١]، وأنه «أوسع الناس صدراً، وأسجحهم خلقاً»[٢]، وأن واحداً لم يحك عنه «لفظاً فاحشاً ولا كلمة ساقطة»[٣].

وزاد بعض الرواة في وصف ملامحه قائلاً:

«كان أبيض مشرَّباً بحمرة، أدعج العينين، سهل الخدين، كث اللحية، ذا وفرة، كأن عنقه أبريق فضة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، من أحسن الناس وجهاً.. جعد الشعر، حسن البدن»[٤].

وكان لا مناص لهذا الرجل الغض الشباب والرائع الجمال والمتدفق بالحيوية والنشاط، من التقدم نحو عتبة الزوجية الصالحة، لأنها شريعة الله وسنة الحياة.

وهكذا كان.

وعندما نصل في تاريخ الإمام الحسن عليه السلام إلى هذه الفقرة من البحث تطل علينا أم العظائم مكشرة بأنيابها القذرة ووجهها

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٧٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٧١.

(٤) ذخائر العقبى: ١٢٧-١٢٨.

الموحش، وهي تقدم لنا صورة ناطقة لذلك التضليل الإعلامي المعادي لتاريخ الإمام، وتفضح بشكل ملموس دسائس الوضاعين والكذابين ومن تابعهم بخبث أو بلاهة، فتبرزها ماثلة للعيان.

لقد لفق هؤلاء ما شاؤوا وشاءت لهم أحقادهم في هذه المسألة، وشارك في ذلك الأمويون – باعتبارهم الأعداء التقليديين – والعباسيون – باعتبار أن معظم قادة الثورات ضدهم كان حسنياً –، وتنافسوا جميعاً فيما بينهم في الارتفاع بأرقام زوجات الإمام عليه السلام كما أوحت مخيلاتهم الشريرة.

وقد شارك المستشرقون – بحكم حقد أكثرهم على الإسلام وقادة مسيرته – في هذه الحملة الشرسة الظالمة، حتى بلغ الحد بلامنس – كنموذج منهم – إلى القول بكل صلف بأن الإمام قد «أنفق خير سنيّ شبابه في الزواج والطلاق، فأحصي له حوالي المائة زيجة عدّاً، وألصقت به هذه الأخلاق السائبة! لقب المطلاق»(١).

ويقول دوايت دونلدسن عن زوجات الإمام عليه السلام:

«روي أن عددهن كان بين الثلاثمائة والتسعمائة»(٢).

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية – الترجمة العربية: ٧/ ٤٠٠-٤٠٢.

(٢) عقيدة الشيعة: ٩٠.

وبين هذين المستشرقين ومثلهما عدد غير قليل من المسلمين ويا للأسف.

وهكذا ضاعت الحقيقة وسط ضباب الأكاذيب والأباطيل.

ولغرض الوصول إلى النتيجة المتيقنة والوقوف على الحقيقة الثابتة، نستقرئ – في أدناه – كل المصادر المعنية بتاريخ الإمام، نسألها جلية الأمر، ونروي عنها أسماء هاتيك الزوجات وأنسابهن، لنجد مدى الصدق او الكذب في تلك الأرقام السالفة الذكر:

١ – أم بشر (أو بشير) بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري:

كانت قد تزوجت قبل ذلك سعيد بن عبد الرحمن، ثم تزوجت عبد الرحمن بن عبد الله، ثم كان الحسن ثالث الأزواج.

وهي أم زيد بن الحسن وأختيه أم الحسن وأم الحسين[١].

٢ – امرأة من ثقيف:

وهي أم ولده عمرو[٢].

---

(١) المحبر: ٤٤٦-٤٤٧، والمعارف: ٢١٢، وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٠٣، والإرشاد: ١٩٩، شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١.

(٢) المعارف: ٢١٢، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١.

٣ – أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب[١].

٤ – امرأة من بنات عمرو بن اهتم المنقري[٢].

٥ – حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر[٣].

٦ – خولة بنت منظور بن زبان الفزارية:

كانت زوجة محمد بن طلحة وولدت له، ولما قتل عنها محمد يوم الجمل تزوجها الحسن وبقيت عنده حتى أسنّت، وقد مات عنها.

وهي أم الحسن بن الحسن[٤].

٧ – جعدة بنت الأشعث بن قيس:

وهي التي سقته السم[٥].

---

(١) المحبر: ٤٣٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١.

(٣) ثلاث رسائل للجاحظ: ٥٩، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٣و٢١.

(٤) المعارف: ٢١٢، وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٠٣، والإرشاد: ١٩٩، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١ والدر المنثور: ١٨٧.

(٥) مقاتل الطالبيين: ٥٠، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١.

«ويقال أن اسمها سكينة، ويقال عائشة، ويقال شعثاً. والصحيح أن اسمها جعدة»[(١)].

٨ – بنت السليل بن عبد الله أخي جرير بن عبد الله البجلي:

وربما كانت هي أم عبد الله بن الحسن[(٢)].

٩ – أسماء بنت عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي:

وكانت تحت عبيد الله بن عمر، ثم خلف عليها الحسن بن علي[(٣)].

١٠ – امرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة[(٤)].

١١ – امرأة من كلب[(٥)].

١٢ – عائشة الخثعمية[(٦)].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٩.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٨٩.

(٣) تاريخ الطبري: ٥/ ٣٧، وشرح نهج البلاغة: ٥/ ٢٣٥، وعبّر عنها في شرح النهج: ١٦/ ٢١ «امرأة من بنات علقمة بن زرارة»، وفي الجملة سقط وتصحيف.

(٤) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١.

(٥) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١.

(٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٤/ ٢١٦.

١٣ – هند بنت سهيل بن عمرو:

كانت قد تزوجت عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ثم تزوجت عبد الله بن عامر بن كريز، وعندما طلقها عبد الله كتب معاوية يخطبها لولده يزيد، فخطبها الحسن في الوقت نفسه، ففضلته على يزيد وتزوجته[١].

وربما يستشف من رواية المدائني[٢] أن طلاق هند من زوجها عبد الله بن عامر لم يكن طلاقاً جارياً على ما اعتاده الناس في مثل هذه الحالات، وقد يكون له سرّ خفيّ كسِرِّ طلاق أُرينب بنت إسحاق من زوجها عبد الله بن سلام[٣].

ولعل مبادرة معاوية لخطبة هند ليزيد تضع أيدينا على مفتاح ذلك السر الدفين الذي كان وراء هذا الطلاق، وظني أن الإمام الحسن عليه السلام كان على علم تام بتلك المؤامرة الدنيئة التي أرادوا بها التفريق بين المرء وزوجه تحقيقاً لشهوات يزيد ومآربه القذرة،

---

(١) المحبر: ٤٥٠، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٣ و٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٣.

(٣) يراجع في قصة ارينب وأسلوب حمل زوجها على طلاقها ليتزوجها يزيد لأنه أحبها وكيف أنقذ الإمام الحسن عليه السلام الموقف بزواجه منها ثم طلاقه إياها لتحل لزوجها وتعود إليه: كتاب الإمامة والسياسة: ١/ ١٧٨-١٨٤.

ولـذلك بـادر – سـلام الله عليـه – إلى خطبتهـا لـيرد كيـد هـؤلاء إلى نحورهم وليعيد سيدهم من هذه اللعبة الشيطانية صفر اليدين.

١٤ – أمـا «أم إسـحاق بنـت طلحـة بـن عبيـد الله التيمـي» فلسـنا واثقين من أمر زوجيتها للحسن عليه السلام أبداً.

فقـد روى بعـض المـؤرخين أنهـا كانـت زوجـة لـه، وأنهـا ولـدت طلحة بن الحسن والحسين الأثرم بن الحسن وفاطمة بنت الحسن[1].

وروى بعـض آخـر: أنهـا زوجـة الحسـين بـن عـلي عليه السلام، وأنهـا ولـدت لـه فاطمـة التـي تزوجهـا الحسـن بـن الحسـن فأنجبـت منـه عبـد الله المحض[2].

وبهـذا العـدد (١٤) نـأتي إلى ختـام مجمـوع مـا عثرنـا عليـه في المراجـع التاريخيـة في موضـوع زوجـات الإمـام الحسـن عليه السلام، ومـع ذلـك فليس هذا العدد مما نقطع بـه أو نتيقنـه، بـل أن فيـه مـن المبالغـة والتزيُّـد ما لا يخفى على المحقق المدقق.

فقـد رأينـا الشـك في كـون «أم إسـحاق التيميـة» زوجـة للحسـن أو الحسين عليهما السلام.

---

(١) المحبر: ٦٦ و٤٤٢، والمعارف: ٢١٢، والإرشاد: ١٩٩ و٣٠٣، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١.

(٢) الإرشاد: ٢٦٩، والدر المنثور: ٢٨٣ و٣٦١.

وقد رأينا ذكر (امرأة من كلب)، ولم يسمها أحد، وبنو كلب – كما ذكر النسابون – بطن من بجيلة، وبهذا الاسم أيضاً بطن من خثعم(١)، وفي القائمة – كما مر – بنت السليل البجلية وعائشة الخثعمية، ولابد أن إحداهما هي المعنية بـ (امرأة من كلب).

ولما كان أولاد بجيلة وخثعم أخوة – كما روى علماء النسب(٢) – فربما تكون بنت السليل البجلية هي عائشة الخثعمية بالذات.

وهكذا ينزل الرقم من (١٤) إلى (١٢) أو (١١).

كما أننا لا نثق الثقة التامة بما ذكره الرواة على الإجمال كـ (امرأة من بني شيبان) و(امرأة من بنات عمرو بن اهتم) وما شاكل هذه العبارات المجملة المبهمة.

وإذن، فالمتيقن من كل ذلك لا يتجاوز العشرة أبداً!

وهل في هذا الرقم (١٠) ما يستدعي تلك العبارات النابية والتعليقات القاسية من المؤرخين؟

وهل في الزواج من (١٠) من النساء في ذلك التاريخ ما يبعث على الاستغراب والعجب؟

---

(١) نهاية الأرب للقلقشندي: ٣٧٣.

(٢) نهاية الأرب: ١٦٢.

فلقد كان لعمر بن الخطاب من الزوجات في مجموع سنيّ حياته عشرة[1].

وكان لعلي بن أبي طالب تسعة[2].

وكان لعثمان بن عفان ثمانية[3].

وهل يبقى بعد ذلك ما يبرر استعمال تلك الألفاظ البذيئة والجمل القذرة، لولا بذاءة قائليها وقذارة نفوسهم؟!.

ولو عدنا إلى القائمة السالفة الذكر لندققها بمنظار آخر يقوم على التمييز بين البكر والثيب والصغيرة والكبيرة من هؤلاء النساء وعلى دراسة ظرف كل سيدة منهن عندما تزوج بها الإمام عليه السلام لوجدنا أن دوافع الزواج هذا لم يكن شهوة بحتة وجنساً محضاً وإنْ أباحه الله وحلله لعباده.

فخولة بنت منظور الفزارية كان قد قتل عنها زوجها يوم الجمل بين يدي علي عليه السلام، وبإمكاننا القول أن هذا الزواج تعويض لها عن ترملها وفجيعتها بفقد زوجها في سبيل أبي الحسن عليه السلام. وللحسن في ذلك أسوة بجده رسول الله صلى الله عليه وآله في زواجه من حفصة

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ١٩٨-١٩٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/ ١٥٣-١٥٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٢٠-٤٢١.

بنت عمر وزينب بنت خزيمة اللتين قتل زوجاهما في بدر، فضمهما إلى أمهات المؤمنين تعويضاً عما أصيبا به من ترمّل بسببه.

وهند بنت سهيل بن عمرو كانت قد طلقت من زوجها بخديعة من معاوية -كما مر- لأن يزيد رآها وأحبها، وكان زواج الإمام عليه السلام إنقاذاً لها من هذه الشبكة الخبيثة والمؤامرة المحكمة، ولهذا قال الحسن عليه السلام لزوجها فيما قال له: «ألا أنزل لك عنها..»(١).

وأم بشر الأنصارية تزوجت مرتين قبل زواج الحسن عليه السلام بها، وربما كان لزواجه هذا سبب إنساني لم نقف عليه.

وهكذا يظهر أن زواج الإمام عليه السلام بهذا العدد من النساء لم يكن استجابة لدوافع الجنس ومطالب الشهوة، وإنما تضافرت عليه عوامل إنسانية متعددة، فشكلت بمجموعها هذا العدد الذي استعرضناه فيما مر.

وعندما تتجلى حقيقة المسألة بمثل هذا الثبات والوضوح ألا يحق لنا أن نصرخ مستفهمين عن مصدر تلك الأرقام الخيالية الهائلة، وأن نتساءل -بملء الفم- عن تلك الموضوعية المدعاة التي كان يغلف بها المستشرقون دسائسهم اللئيمة ليخرجوها على الملأ وقد افترضوا لها اسم البحث العلمي المحايد!، وهل كان من

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٣.

عطاء المنهجية المزعومة أن يرسلوا أعداد (المائة) و(ما بين الثلاثمائة والتسعمائة) إرسال المسلمات؟

أما مطلقات الإمام عليه السلام التي ارتفع بعددهن الحاقدون صعداً وزعموا لهن من الكثرة والوفرة ما استحق به الحسن عليه السلام لقب «المطلاق»[١] فلم يثبت لدينا منهن، بل لم نعرف منهن، إلا السيدات الآتية أسماؤهن:

١ – امرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة:

وكان السبب في طلاقها ميلها إلى رأي الخوارج[٢].

٢ – حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر:

وكان السبب في طلاقها أن المنذر بن الزبير كان يهواها «فأبلغ الحسن عليه السلام عنها شيئاً فطلقها»[٣].

٣ – أم كلثوم بنت الفضل بن العباس بن عبد المطلب[٤].

٤ – عائشة الخثعمية:

وكان السبب في طلاقها إظهارها الفرح بوفاة علي عليه السلام[٥].

---

(١) تاريخ أبي الفدا: ١/ ١٨٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢١.

(٣) ثلاث رسائل للجاحظ: ٥٩، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٣.

(٤) المحبر: ٤٣٩.

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر: ٤/ ٢١٦.

وليس في هذا العدد المذكور وفي الأسباب الموجبة للطلاق ما يدعو إلى تلك المبالغات والمغالطات والى ذلك التزمير والتطبيل، لولا سوء الغرض وخبث النفس وفساد الطوية.

ويطل الإمام الحسن عليه السلام – بعد هذا كله – على الدنيا الإسلامية رجلاً عظيم الهيبة، جليل الشأن، أثيل المجد، كريم اليد، عف اللسان، قوي الجنان، صلب العود، عذب المنطق، حلو الشمائل، تشير إليه الأيدي بإكبار، وتنطق باسمه الأفواه بإجلال، وتتطلع إليه العيون بتقديس، وتنعقد حوله الحلقات بتقدير، فهو ملء الأسماع والأبصار، ومهوى القلوب والأفئدة.

ونزولاً عند هذا الأمر الواقع رأى أولئك الستة الذين عيّنهم الخليفة عمر في مجلس الشورى أن لا مناص من حضور الحسن بن علي عليه السلام للمذاكرة والمشاورة معه، فاستدعوه وأحضروه[1].

ونزولاً عند هذا الأمر الواقع أيضاً رأى أولئك المسلمون المتطلعون إلى فتح منطقة طبرستان – ذات الموقع المهم في نشر الرسالة الإسلامية في ايران – أن نجاحهم في هذا المسعى متوقف على مشاركة عدد من الصحابة البارزين وعلى رأسهم الإمام الحسن عليه السلام، فطلبوا منه ومن أخيه الحسين وعبد الله بن عباس

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ٢٤.

وحذيفة بن اليمان الحضور معهم على رأس الجيش الإسلامي لتقوية معنوياته وتدعيم صموده، فذهب الإمام عليه السلام إلى هناك بدافع الانتصار للإسلام ورسالته، ويَسر الله عليه وعلى المسلمين فتح تلك المنطقة المهمة في سنة ٣٠هـ[١].

ولما ثار المسلمون على عثمان ثورتهم العارمة، وصمموا على قتله بعد فشل كل جهود التهدئة واصطدامها بمروان وآل مروان، دعا علي عليه السلام ولديه الحسن والحسين عليهما السلام وقال لهما: «اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه»[٢].

وقد روى هذا الموقف وأكده عدد من المؤرخين القدامى المشهورين حتى أصبح من بديهيات التاريخ[٣].

كما روى موقف علي من عثمان ومدافعته الجادة عنه ومحاولاته المتكررة لحمايته من القتل معظم المعنيين برواية أحداث هذه الثورة،

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ٣٣٠، وتاريخ الطبري: ٤/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) أنساب الأشراف: ٥/ ٦٩-٧٠.

(٣) أنساب الأشراف: ٥/ ٧٤ و٩٣ و٩٥، وتاريخ الطبري: ٤/ ٣٥٠ و٣٥٣ و٣٨٥ و٣٨٨ و٣٩٢، ومروج الذهب: ٢/ ٢٣٢-٢٣٣.

حتى أصبح ذلك من أوضح مواقف التاريخ أيضاً، كما شرحناه بمصادره في كتابنا السابق (الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام)[١].

ولن يضير هذا الإجماع بعد انعقاده ولن يخل في كونه إجماعاً مخالفة بعض الكذابين والوضاعين ومزوري الحقائق كسيف بن عمر ومن كان على شاكلته، إذ زعموا أن الحسن كان يتهم أباه بالتحريض على قتل عثمان وأنه قال لعلي يوماً في خلال حديث بينهما: «لقد قتلت رجلاً كان يسبغ الوضوء لكل صلاة»[٢].

وليست من كذبة افتضح أمرها في التاريخ أبرز من هذه الكذبة وأجلى زيفاً وبطلاناً.

ولقد أنكر بعض الكُتّاب مشاركة الحسن والحسين عليهما السلام في الدفاع عن عثمان، باعتبار أن الخليفة كان مستحقاً للقتل بسوء فعله، وباعتبار أن قتلته جمهرة من الصحابة المؤمنين الذين لا يُشَكُّ في حُسن إيمانهم وبثورة قادها عدد من المسلمين المخلصين الذين لا يُرْتاب في صحة إسلامهم وسلامة نواياهم. ولهذا فإن علياً وولديه

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام – سيرة وتاريخ: ١٤٥-١٥٤.

(٢) أنساب الأشراف: ٥/ ٨١، ويراجع أنساب الأشراف: ٢/ ٢١٦-٢١٧، وتاريخ الطبري: ٤/ ٤٥٤ و٤٥٦ و٤٥٨.

لن يدافعا عن إنسان منحرف كعثمان وأمام ثوار كأولئك المعروفين بالدين والإيمان.

ولا مراء لدينا في أن هذا الكلام سليم وجميل، ولكنه يحمل أحد جانبي الحقيقة فقط.

أما «مجموع» الحقيقة الذي يجب علينا إعلانه – على رغم كل العواطف والمشاعر – فهو أن علياً كان ينقد سلوك عثمان وينعى عليه تصرفاته السيئة، وبعنف في بعض الأحيان، ولكنه كان يحارب بشدة – في الوقت نفسه – فتح باب قتل الخليفة إذا ما أساء التصرف أو خرج على تعاليم الشريعة، لأن فتح هذا الباب قد يؤدي إلى الضرر والفوضى بأكثر مما يؤدي إلى الإصلاح والتقويم. ومن هنا كان يرى عليه السلام ضرورة بذل الجهود – مهما كانت صعبة ومضنية – لإصلاح ذلك الخليفة وإجباره على التراجع عن أفعاله السيئة، بعيداً عن البطش والقتل وسفك الدماء.

وقد روى لنا علي عليه السلام – فيما أُثِرَ عنه في نهجه البليغ ومصادر التاريخ – هذه الحقيقة بكاملها، ونجتزئ من ذلك كله بالفقرات الآتية:

«والله ما زلت أذب عنه حتى أني لأستحيي»[١].

«والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما»[٢].

«وما كنت لأعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً»[٣].

وكان علي عليه السلام يقول لعثمان في أيام الثورة ناصحاً إياه: «الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك»[٤].

ومهما يكن من أمر.

فقد فشلت تلك المساعي والجهود، ووقعت الواقعة، ونفذ الثوار تهديدهم، وأسفرت الثورة عن خليفة قتيل، ودم مطلول، ومنصب شاغر ينتظر الكفء الذي يشغله ويصلح ما فسد منه.

وتمت البيعة لعلي عليه السلام من قبل المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة، ثم تهافت المسلمون على بيعته في كل مكان من أرجاء العالم الإسلامي، ولم يتخلف عن ذلك سوى معاوية وأتباعه ومن كان على دينه، مما شرحناه في الكتاب السابق بالتفصيل.

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٣٧٨.

(٢) نهج البلاغة: ١/ ٤٦٨.

(٣) نهج البلاغة: ٢/ ٣٤.

(٤) تاريخ الطبري: ٤/ ٣٦٩.

وتَجَمّـع أصـحاب المصـالح والمنـافع الدنيويـة التـي تعرضـت للخطـر في هـذا العهـد الجديـد، عهـد الحكـم الإسـلامي الصـحيح والتطبيـق الحـرفي لشـريعة الله، فـأعلنوا نكـثهم للبيعـة وخـروجهم عـلى الإمـام الشـرعي المنصـوص والخليفـة العـادل المنتخـب، فكـان ذلـك كـما وعـد رسـول الله صلى الله عليه وآله عنـدما قـال مخاطبـاً عليـاً: «سـتقاتل بعـدي الناكثين والقاسطين والمارقين»(١).

ولم يجـد عـليّ عليه السلام بُـدّاً مـن الخـروج إلى العـراق والـذهاب إلى البصـرة - حيـث تجمّـع النـاكثون - لمحـاربتهم وتـأديبهم ووضـع الحـد الحاسم لتمردهم وبغيهم وتطبيق حكم الله تعالى في البغاة عليهم.

وحيـث أن طريقـه إلى البصـرة لم يكـن يمـر بالكوفـة، فقـد أرسـل رسـلاً مـن قبلـه إلى والي الكوفـة أبي موسـى الأشـعري لإقناعـه بالرضـوخ للأمـر والخـروج مـع النـاس إلى هـذه الحـرب الشـرعية. ولكـن أبـا موسى لم يقتنـع ولم يجـب، بـل اسـتمر في غلوائـه مصـراً عـلى قعوده وعلى تثبيط الناس عن الخروج.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٣/ ١٨٣، ويراجع في الحديث: الاستيعاب: ٣/ ٥٣، وتاريخ بغداد: ٨/ ٣٤١ و١٣/ ١٨٧، ومجمع الزوائد: ٧/ ٢٣٨.

ولما بلغ ذلك علياً عليه السلام دعا ابنه الحسن وأمره بالخروج إلى الكوفة للقيام بهذه المهمة، مهمة تعديل موقف الوالي وإيقاظ مشاعر الناس للمشاركة في حرب البغاة.

ولبّى الحسن أمر علي – وهو إمامه وأبوه – وتوجه إلى الكوفة، وبصحبته عمار بن ياسر، ومعه كتاب من أبيه، «فخرج أبو موسى فلقي الحسن فضمه إليه»[1]، فأقبل الحسن على أبي موسى «فقال: يا أبا موسى، لِمَ تثبِّط الناس عنّا فوالله ما أردنا إلا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء»[2].

واجتمعت الجماهير المسلمة في مسجد الكوفة، وتُلي عليها كتاب عليّ فأصغت إليه بمسامع قلوبها ومجامع أفئدتها، ثم قام الحسن خطيباً «فوضع يده على عمود يتساند إليه، وكان عليلاً من شكوى به، فقال:

«الحمد لله العزيز الجبار، الواحد القهار، الكبير المتعال، ﴿**سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ**﴾. أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدة ورخاء.

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٨٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٨٣.

وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه، وأن محمـداً عبـده ورسـوله، امتنّ علينـا بنبوتـه، واختصـه برسـالته، وأنـزل عليـه وحيـه، واصـطفاه عـلى جميـع خلقـه، وأرسـله إلى الأنـس والجـن، حـين عبـدت الأوثان، وأُطيـع الشـيطان، وجُحِـد الـرحمن، فصـلى الله عليـه وعـلى آلـه، وجزاه أفضل ما جزى المسلمين».

«أمـا بعـد: فـإني لا أقـول لكـم إلا مـا تعرفـون، أن أمـير المـؤمنين عـلي بـن أبي طالـب – أرشـد الله أمـره، وأعـزّ نصـره – بعثنـي إلـيكم، يـدعوكم إلى الصـواب، وإلى العمـل بالكتـاب، والجهـاد في سـبيل الله، وإن كـان في عاجـل ذلـك مـا تكرهـون، فـإن في آجلـه مـا تحبـون إن شـاء الله. ولقد علمتم أن علياً صـلى مـع رسـول الله صلى الله عليه وآله وحـده، ثـم شـهد مـع رسـول الله صلى الله عليه وآله جميـع مشـاهده، وكـان مـن اجتهـاده في مرضـاة الله وطاعـة رسـوله وآثـاره الحسـنة في الإسـلام مـا قـد بلغكـم، ولم يـزل رسـول الله صلى الله عليه وآله راضـياً عنـه، حتـى غمّضـه بيـده، وغسّـله وحـده والملائكة أعوانه والفضل ابـن عمـه ينقـل إليـه المـاء، ثـم أدخلـه حفرتـه، وأوصاه بقضاء دَينه وعداته وغـير ذلـك مـن أمـوره، كـل ذلـك مِـن مَـنِّ الله عليـه، ثـم والله مـا دعـا إلى نفسـه، ولقـد تـداكّ النـاس عليـه تـداكَّ الأبل الهيم عند ورودهـا، فبـايعوه طـائعين، ثـم نكـث مـنهم نـاكثون بـلا حـدث أحدثـه، ولا خـلاف أتـاه، حسـداً لـه وبغيـاً عليـه، فعلـيكم عبـاد الله بتقـوى الله وطاعتـه، والجـد والصـبر والاسـتعانة بـالله، والخفـوف

إلى ما دعاكم إليه أمير المؤمنين. عصمنا الله وإياكم بما عصم به أولياءه وأهل طاعته، وألهمنا وإياكم تقواه، وأعاننا وإياكم على جهاد أعدائه، واستغفر الله العظيم لي ولكم»[1].

ثم خطب مرة أخرى في اجتماع حاشد من اجتماعات الكوفة يومذاك فقال:

«أيها الناس، إنا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله وإلى أفقه من تَفقَّه من المسلمين، وأعدل من تعدّلون، وأفضل من تفضّلون، وأوفى من تبايعون، مَنْ لم يعبه القرآن ولم تجهِّله السنة ولم تقعد به السابقة، إلى مَن قرّبه الله تعالى إلى رسوله قرابتين: قرابة الدين وقرابة الرحم، إلى من سبق الناس إلى كل مأثرة، إلى من كفى الله به رسوله والناس متخاذلون، فقرب منه وهم متباعدون، وصلى معه وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون، وبارز معه وهم محجمون، وصدقه وهم يكذّبون، إلى من لم ترد له رواية، ولا تكافأ له سابقة، وهو يسألكم النصر ويدعوكم إلى الحق، ويأمركم بالمسير إليه، لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصلاح

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ١٢-١٣، ويقول الراوي: «ولما سقط عني من قوله أكثر، ولقد حفظت بعض ما سمعت».

من أصحابه، ومثّلوا بعماله، وانتهبوا بيت ماله، فاشخصوا إليه رحمكم الله، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، واحضروا بما يحضر به الصالحون»[١].

وكان مما خطب به في الكوفة أيضاً قوله:

«أيها الناس؛ انه قد كان في مسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ما قد بلغكم، وقد أتيناكم مستنفرين، لأنكم جبهة الأنصار ورؤوس العرب، وقد كان من طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة ما بلغكم.. وايم الله لو لم ينصره منكم أحد لرجوتُ أن يكون أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفاية، فأنصروا الله ينصركم»[٢].

ومما قاله الإمام الحسن للناس في خطاب آخر:

«يا أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لئن يليه أولو النهى أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتُلينا به وابتليتم»[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ١١.

(٢) الإمامة والسياسة: ١/ ٦٢-٦٣، وقريب منه في الجمل: ١٣٢-١٣٣.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٨٥.

ثم قال لأبي موسى والي الكوفة:

«اعتزل عملنا لا أمّ لك وتنحَّ عن منبرنا»[١].

ثم توجه إلى الناس قائلاً:

«أيها الناس، إنني غادٍ فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر، ومن شاء فليخرج في الماء»[٢].

وكان لهذه الخُطب البليغة دورها الكبير في شحذ الهمم وتنشيط العزائم وإثارة العواطف لصالح هذه الحرب الدينية التي أشعل نارها النفعيون المصلحيون الناكثون للبيعة والخارجون على الشرع والنظام العام.

ولقد كان لاعتماد الإمام أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة في هذه الخُطب أثره البليغ في النفوس ومفعوله العميق في القلوب والأفئدة، «فنفر معه تسعة آلاف، فأخذ بعضهم البر، وأخذ بعضهم الماء، وعلى كل سبع رجل. أخذ البر ستة آلاف ومائتان، وأخذ الماء ألفان وثمانمائة»[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٨٦، والجمل: ١٣٦، وشرح نهج البلاغة: ٢٤/ ٢١.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٨٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٤/ ٤٨٥.

ولم ينتـه دور الإمـام الحسـن عليه السلام في حـرب الجمـل بهـذه الخطـب البليغـة المثـيرة وباسـتنفار المسـلمين للمسـاهمة في صـدّ البغـاة النـاكثين، بـل اسـتمر في مسـؤوليته الاعلاميـة التوجيهيـة في هـذه الحـرب لـدحر الـدعايات المضـادة والـدعوات الكاذبـة، ولفضـح تلـك الأضـاليل والأباطيل التـي انخـدع بهـا أتبـاع «الجمـل» البسـطاء فلـم يـدركوا أبعـاد ذلك التحرك النفعي العفن.

ويذكر لنـا المؤرخـون – كمثـلٍ عـلى ذلـك – أن عبـد الله بـن الـزبير خطب يوماً في معسـكر أهـل الجمـل بالبصـرة بهـدف تحـريض أصـحابه عـلى الحـرب، فـاتّهم عليـاً بقتـل عـثمان، وبـإكراه النـاس عـلى بيعتـه، وذكـره بسـوءٍ كعادتـه، فبلـغ ذلـك مسـامع الحسـن عليه السلام فقـام خطيبـاً فحمد الله وأثنى عليه، وقال:

«أيها النـاس، قـد بلغتنـا مقالـة ابـن الـزبير، وقـد كـان أبـوه يتجنـى عـلى عـثمان الـذنوب، وقـد ضـيق عليـه الـبلاد حتـى قتـل، وأن طلحـة راكز رايتـه عـلى بيـت مالـه وهـو حـي. وأمـا قولـه: أن عليـاً ابتـز النـاس أمـرهم، فـإن أعظـم حجـة لأبيـه زَعْـمُ أنـه بايعـه بيـده ولم يبايعـه بقلبـه، فقد أقر بالبيعة وادعى الوليجـة، فليـأتِ عـلى مـا ادّعـاه ببرهـان وأنّـى لـه ذلك. وأما تعجبه من تـورد أهـل الكوفـة عـلى أهـل البصـرة، فـما عجبـه مـن أهـل حـق تـوردوا عـلى أهـل باطـل، ولعمـري – والله – لـيعلمن

أهل البصرة، وميعاد ما بيننا وبينهم اليوم، نحاكمهم إلى الله تعالى فيقضي الله بالحق وهو خير الفاصلين»[١].

وهكذا كان دور الإمام الحسن عليه السلام أيضاً في حرب أبيه علي عليه السلام مع القاسطين معاوية وأشياعه، في صفين، تلك الحرب التي أزهقت أرواح عشرات الألوف من المسلمين، حتى ضجت الصحراء بالأشلاء وامتلأت بطون الذئاب الكاسرة بلحوم القتلى حتى التخمة، وسيلقى معاوية وكبار قادته أقسى الحساب عن ذلك بين يدي الله تعالى، كما لقي مثل ذلك الحساب من محكمة التاريخ على رغم سائر المتعصبين من ضالين ومضلِّلين.

أجل، هكذا كان دور الحسن عليه السلام أيضاً في حرب صفين، ومن حسن الحظ أن تحتفظ المصادر بنموذج من تلك الخُطب البليغة التي قاد بها الإمام عليه السلام مسيرة الإعلام العقيدي خلال الحرب، رداً على مزاعم الأعداء ودعاواهم الباطلة.

روى نصر بن مزاحم أن الحسن عليه السلام قام خطيباً في حرب صفين يحرض الناس على الجهاد فقال: «الحمد لله لا إله غيره، وحده لا شريك له، وأُثني عليه بما هو أهله». ثم قال: «إن مما عظم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره، ولا

---

(١) الجمل: ١٧٥.

يـؤدى شـكره، ولا يبلغـه صـفة ولا قـول، ونحـن إنـما غضـبنا لله ولكـم، فإنـه مَـنّ علينـا بـما هـو أهلـه أن نشـكر فيـه آلاءه وبـلاءه ونعـماءه، قـولاً يصعد إلى الله فيـه الرضـا، وتنتشـر فيـه عارفـة الصـدق، يصـدق الله فيـه قولنـا، ونسـتوجب فيـه المزيـد مـن ربنـا، قـولاً يزيـد ولا يبيـد، فإنـه لم يجتمـع قـوم قـط عـلى أمـر واحـد إلا اشـتد أمـرهم، واسـتحكمت عقـدتهم. فاحتشـدوا في قتـال عـدوّكم: معاويـة وجنـوده، فإنـه قـد حضـر ولا تخـاذلوا فـإن الخـذلان يقطّـع نيـاط القلـوب، وإن الإقـدام عـلى الأسـنة نجـدة وعصـمة، لأنـه لم يتمنـع قـوم قـط إلا رفـع الله عـنهم العلة، وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة»[1].

ولمـا فعـل أبـو موسـى الأشـعري فعلتـه البلهـاء النكـراء في التحكيم، وكثـر اللغـط في هـذا الموضـوع، أمـر عـليّ عليه السلام ولـده الحسـن عليه السلام بـأن يقـوم خطيبـاً فيـتكلم في أمـر أبي موسـى وعمـرو بـن العـاص، فقـام الحسن عليه السلام فتكلم فقال:

«أيهـا النـاس، قـد أكثـرتم في أمـر أبي موسـى وعمـرو، وإنـما بُعِثـا لـيحكما بـالقرآن دون الهـوى، فحكـما بـالهوى دون القـرآن، فمـن كـان هكـذا لم يكـن حكـماً، ولكنـه محكـوم عليـه، وقـد كـان مـن خطـأ أبي موسى أن جعلهـا لعبـد الله بـن عمـر، فأخطـأ في ثـلاث خصـال: خـالف

---

(١) وقعة صفين: ١١٣-١١٤.

– يعني أبا موسى – أباه عمر إذ لم يرضه لها ولم يره أهلاً لها وكان أبوه أعلم به من غيره، ولا أدخله في الشورى إلا على لا شيء له فيها، شرطاً مشروطاً من عمر على أهل الشورى، فهذه واحدة. وثانية: لم يجمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الإمامة ويحكمون على الناس. وثالثة: لم يستأمر الرجل في نفسه ولا علم ما عنده من ردّ أو قبول»(١).

وكان الإمام مجلياً في كلامه هذا كل التجلي، فقد دحض مزاعم أبي موسى وابن العاص ومن لف لفهما أبلغ دحض، واستدل على فساد ذلك بالحجج ذاتها التي زعموها طريقاً للاستخلاف وشرطاً للقيام بأمر المسلمين، إذ استدلوا على أهلية عثمان للخلافة بإدخال عمر إياه في الشورى وترشيحه لتبوأ هذا المركز، كما استدلوا على صحة خلافة من استخلف قبل ذلك برضا المهاجرين والأنصار بهم قادة وحكاماً على الناس.

وجاء الحسن عليه السلام ليضع النقاط على الحروف، فطعن في التحكيم أولاً:

بأنه حكم بالهوى دون القرآن، لأن القرآن الكريم صريح في وجوب حرب البغاة ومقاتلتهم حتى يذعنوا لأمر الله، قال تعالى:

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٢٧–١٢٨.

﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ﴾، ولما كان أمر الله متمثلاً في ذلك الظرف بالإمام الحق والخليفة الشرعي علي بن أبي طالب عليه السلام فليس من الحكم بالقرآن خلعه واختيار غيره ولا مهادنة الباغي والسكوت عن بغيه كما فعل الحكمان.

ثم طعن بالتحكيم ثانياً:

بأن اختيار عبد الله بن عمر للخلافة باطل من أساسه، لأن أباه لم يره أهلاً لها كما زعموا عند بيعة عثمان، ولم يجمع عليه المهاجرون والأنصار كما ادّعوا يوم حجبوا الخلافة عن علي عليه السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، ولم يستشر الرجل ليعلم ما عنده من رد أو قبول.

ويشرف عهد علي عليه السلام على الختام بإعداد تلك المؤامرة الغادرة لقتله على يد ذلك العتل الكافر اللئيم عبد الرحمن بن ملجم، وبسيف الحقد الجاهلي الأسود حقد الناكثين والقاسطين والمارقين.

أجل يشرف ذلك العهد السماوي على الختام، وعلي عليه السلام يعد العدة لحرب التصفية النهائية مع معاوية وأتباعه الخارجين على إمام زمانهم، وبمقدار ارتباط هذا الإعداد والتأهب بالإمام الحسن عليه السلام فقد «جاء في الأخبار أنه عقد للحسن ابنه عليه السلام على عشرة آلاف»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٧/ ٩٣.

ولكن قضاء الله تعالى لا يرد، وقدره المقدر لا يدفع، فوقعت الواقعة، وهوى علي ﷺ في محرابه شهيداً في سبيل الله، وصعدت روحه إلى بارئها تشكو الغدر الدنيء واللؤم الكافر.

واتجهت الإمامة الشرعية والخلافة الزمنية نحو الإمام الحسن ﷺ دون غيره من الناس لأنه صاحبها – نصاً – والمؤهل لتحمل أعبائها – كفاءةً ومقدرة –.

واستجدت في الساحة الإسلامية أحداث وأحداث مما تكفل الفصل القادم ببحثه والتحدث عنه بالتفصيل.

❊ ❊ ❊

الحسن عليه السلام في إمامته وخلافته

وهكذا التقت للمرة الثانية في تاريخ الإسلام – بعد خلافة علي – إمامة السماء الشرعية بخلافة الأرض الزمنية في شخص رجل واحد: الإمامة الشرعية باعتبارها رئاسة دين، والخلافة الزمنية باعتبارها رئاسة دولة.

وهكذا اتحد من جاء عليه النص من رسول الله صلى الله عليه وآله بمن دلف الناس إليه يبايعونه على السمع والطاعة.

كان صباح اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان، حزيناً أبلغ ما يكون الحزن، كئيباً أشد ما تكون الكآبة، فلم يسمع المسلمون في الكوفة عند الفجر ذلك الصوت المدوي بذكر الله وهو ينادي: «الله أكبر. الله أكبر»، ولم تتلقف آذانهم دعوته المباركة في تلك الساعة المبكرة وهو يهتف بهم: «حي على الصلاة. حي على الفلاح. حي على خير العمل»، ولم تكتحل عيونهم بذلك الوجه الملائكي الجميل، وجه عليّ عليه السلام، وهو قائم يصلي في المحراب بخشوعه

وخضوعه وانصهاره في الله، يناجي ربه بكلماته، ويتمتم مع نفسه بدعواته.

إنها الوحشة بأفظع معانيها وأقسى آثارها على النفس.

وفي خلال هذه المشاعر المؤلمة التي كانت تعصف بأفئدة أولئك المسلمين، فتكاد تقضي على ما بقي فيها من طاقات الصبر والجلد والتحمل، يطل عليهم ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة، فيتوجه نحو محراب أبيه ليملأ الفراغ ويسد الثلمة، وينادي المنادي: «قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة»، وإذا بالأمل يدب في النفوس دبيب الشفاء في جسم المريض، وإذا بأولئك الطيبين المخلصين من صحابة الإسلام وبُناته يتذكرون – وقد حرمهم وقع الفاجعة لذة التذكار – ما كان يتحدث به محمد صلى الله عليه وآله عن سبطه هذا، وما ينص عليه من إمامته وولايته على الأمة، وما يكرّر ويؤكد من إعلان حبه إياه وتولهه فيه.

وتصطف الصفوف في نظام، ويجتمع الشمل من جديد، ويتوجه الجميع إلى الله تعالى لأداء الفريضة المكتوبة.

وينتهي الإمام عليه السلام من فرضه، فيبادر إلى منبر أبيه ليؤبن ذلك الفقيد العظيم بما يستحق من كلمات التأبين، مما لا يمكن أن يقال في شأن غيره من الناس – كل الناس – فيقول:

«ألا انـه قـد مضـى في هـذه الليلـة رجـل لم يدركـه الأولـون، ولـن يرى مثله الآخرون، مـن كـان يقاتـل وجبريـل عـن يمينـه وميكائيـل عـن يسـاره، والله لقـد تـوفي في الليلـة التـي قـبض فيهـا موسـى بـن عمـران، ورفع فيها عيسى بن مريم، وأنزل القرآن»[١].

وهكذا فليكن التأبين باختصار ألفاظه وأبعاد معانيه.

«رجـل، ولكنـه لم يسـبقه الأولـون ولا يدركـه الآخـرون. وإنسـان ولكنـه بـين جبرئيـل وميكائيـل، وهـل هـذا إلا الإنسـان الملائكـي. ترفـع روحه يـوم يرفـع عيسـى، ويمـوت يـوم يمـوت موسـى، وينـزل إلى قـبره يـوم ينـزل القـرآن إلى الأرض. مراحـل كلهـا بـين ملـك مقـرّب ونبـي مرسل وكتاب منـزل، فـما شـأن مكـارم الـدنيا إلى جنـب هـذه المكرمـات الكرائم»[٢].

ودوّى البكـاء والنشـيج في أرجـاء المسـجد وجنباتـه، والحسـن عليه السلام يؤبن أباه بهذه الكلمات الخالدات.

وسرعـان مـا دوّى عـلى أثـر ذلـك صـوت جهـوري أصـيل النـبرة عريق المنبت، هو صـوت عبيـد الله بـن العبـاس بـن عبـد المطلـب، يـدعو

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٩٠، وقريب منه: في تاريخ الطبري: ٥/ ١٥٧، ومقاتل الطالبيين: ٥١-٥٢، وشرح نهج البلاغة: ٧/ ٢١٩ و١٦/ ٣٠.

(٢) صلح الحسن عليه السلام: ٥٧.

الناس إلى بيعة الحسن عليه السلام[١]، قائلاً: «معاشر الناس، هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه»[٢].

ولم يكن عبيد الله في قوله هذا مدفوعاً بشيء من عاطفة جامحة أو قربى متعصبة أو محبة عمياء.

فالحسن عليه السلام ابن النبي صلى الله عليه وآله حقاً:

وحسبنا في الاستدلال على ذلك: قول الله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ**﴾، ولم يكن المقصود بالأبناء هنا – بإجماع المسلمين – إلا الحسن والحسين عليهما السلام[٣].

وكان النبي صلى الله عليه وآله قد سمّى الحسن عليه السلام (ابنه) في عدة أحاديث، تداول المسلمون روايتها، وأجمعوا على صحتها، مما لا يحتاج إلى تفصيل وتطويل[٤].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٢.

(٢) الإرشاد: ١٩٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١١/ ٢٦.

(٤) صحيح البخاري: ٥/ ٣٢ و٩/ ٧١، وسنن أبي داود: ٢/ ٤٢٣ و٥١٩، وسنن الترمذي: ٥/ ٦٥٧-٦٥٨.

وقد أكد الحسن عليه السلام نفسه مسألة البنوة هذه في فقرات قالها بعد فراغه من تأبين أبيه جاء فيها:

«أنا الحسن بن محمد، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عز وجل بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[١].

ولن يضير بعد هذه النصوص الشريفة من قرآن وسنة أن يقول المزيفون للحقائق: «بنونا بنو أبنائنا»[٢]، لأن ذلك من وحي التزلف أو التعصب للعباسيين ضد أبناء عمهم العلويين، من دون أن يكون له سند من كتاب أو حديث.

والحسن عليه السلام وصي أبيه حقاً:

ولعلي عليه السلام وصية كبرى لابنه الحسن عليه السلام، تضمنها نهج البلاغة[٣].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١١/ ٢٨، ويراجع ما رد به هناك على هذه الفكرة القبلية المنافية لأحكام الإسلام. كما يراجع بحث هذه المسألة بنصوصها النبوية الشريفة وشواهدها الشعرية الكثيرة في كتاب الغدير: ٧/ ١٢٢-١٢٩.

(٣) نهج البلاغة: ٢/ ٣٧-٥٧ (شرح الشيخ محمد عبده).

وله أيضاً وصية أخرى أملاها قبل وفاته بيوم واحد، وقد رواها عدد من المؤرخين[١]، ونص بعضهم على أن علياً عليه السلام قال للحسن عليه السلام: «أنت ولي الأمر وولي الدم»[٢].

وأمر عليّ عليه السلام أن يصلي الحسن عليه السلام بالناس[٣] – وإنها الوصية الثالثة –، وقديماً زعم الزاعمون أن الأمر بإقامة الصلاة معناه الخلافة.

أما ما رواه الطبري وآخرون من أن علياً عليه السلام قد سئل قبل وفاته: «إن فقدناك – ولا نفقدك – فنبايع الحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم»[٤] فلا نعرف مدى سنده وحقيقة أمره، ولكنه لو صح فلا مانع منه ولا يدل على عدم الإيصاء، وذلك لأن علياً عليه السلام كان يعرف حراجة الظرف يومذاك ودقة الموقف واختلاف نفسيات الناس، فترك الخيار لهم في التصرف، فإن أرادوا إطاعة النص في المبايعة للحسن عليه السلام فذاك، وإن عزفوا عن الحسن عليه السلام فقد سبق لهم أن عزفوا عن أبيه ونصه الجلي في عهود الخلفاء السابقين.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/ ١٤٧، ومقاتل الطالبيين: ٣٨، والكامل لابن الأثير: ٣/ ١٩٦.

(٢) أصول الكافي: ١/ ٢٩٨.

(٣) مروج الذهب: ٢/ ٣٠٦، ومطالب السؤول: ١/ ١٨٤.

(٤) تاريخ الطبري: ٥/ ١٤٦-١٤٧.

والحسن عليه السلام بعد ذلك وقبله إمام بنص رسول الله صلى الله عليه وآله:

كقوله صلى الله عليه وآله مخاطباً الحسن والحسين عليهما السلام: «أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة»(١).

وقوله صلى الله عليه وآله مشيراً إلى الحسين عليه السلام: «هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة»(٢).

وقوله صلى الله عليه وآله: «أنا سيد النبيين، وعلي سيد الوصيين، وإن أوصيائي بعدي اثنا عشر»(٣).

وعلى كل حال.

فقد لاقت دعوة عبيد الله أصداءها القوية في نفوس الناس، وبخاصة عند أولئك الذين عاصروا العهد النبوي الذهبي وسمعوا من لسان ذلك الرجل الذي لا ينطق عن الهوى تلك الشهادات والنصوص في حق الحسن عليه السلام.

---

(١) نزهة المجالس: ٢/ ٤٧٦.

(٢) منهاج السنة: ٤/ ٢٠٩.

(٣) ينابيع المودة: ٤٤٧ و٤٨٦. ويراجع في أن الأئمة اثنا عشر: صحيح البخاري: ٩/ ١٠١، وصحيح مسلم: ٦/ ٣، وسنن الترمذي: ٤/ ٥٠١، وسنن ابن أبي داود: ٢/ ٤٢١.

وبادر الجميع إلى البيعة طائعين قائلين: «ما أحبّه إلينا وأحقّه بالخلافة»[١].

وهكذا التقت للمرة الثانية في تاريخ الإسلام بعد خلافة علي عليه السلام «إمامة السماء الشرعية بخلافة الأرض الزمنية في شخص رجلٍ واحد: الإمامة الشرعية باعتبارها رئاسة دين، والخلافة الزمنية باعتبارها رئاسة دولة»[٢].

وهكذا اتحد من جاء عليه النص من رسول الله صلى الله عليه وآله بمن دلف الناس إليه يبايعونه على السمع والطاعة.

وكان لابد للحسن عليه السلام من القبول والنزول على هذا الاندفاع الشبيه بالإجماع على بيعته.

وواضح أن إقامة الحجة على الإمام عليه السلام بالمبادرة إلى البيعة والاستعداد للنصرة ملزمة له بالرضوخ والقبول وعدم الاعتذار مهما كانت الظروف والمبررات، كما سلف لنا بيانه بالتفصيل في كتابنا السابق عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وهكذا تمّت البيعة للحسن عليه السلام في مسجد الكوفة.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٢، وشرح النهج: ١٦/ ٣١.

(٢) كتابنا: الإمام علي عليه السلام: ٧٩-٨٠.

ثم بايعته الكوفة كلها، وتبعتها البصرة والمدائن والعراق[١] بأجمعه، كما بايعه الحجاز[٢] واليمن[٣] وبلاد فارس[٤].

ولم يتخلف عن بيعته إلا معاوية وأتباعه ومن والاه.

وبدأ الحسن عليه السلام عمله في إدارة الدولة.

وأمّر الأمراء، وعيّن الولاة «ووجّه عُمّاله إلى السواد والجبل»[٥].

وأخذت الخلافة الجديدة تشق طريقها نحو تنظيم شؤون الناس على ضوء التطبيق الحرفي للمنهج الإلهي العادل.

وكان من جملة مبادرات الإمام عليه السلام في أول عهده بالأمر زيادة أفراد الجيش في عطائهم[٦]، وذلك لعلمه بعنف الحاجة التي كانوا يعانونها بعد تلك الحروب الطاحنة بين الخلافة الشرعية المتمثلة بعلي عليه السلام وبين الناكثين (أتباع الجمل) والقاسطين (أتباع معاوية) والمارقين (الخوارج على أمر الله)

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/ ١٦٢.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/ ١٤٠.

(٣) تاريخ الخميس: ٢/ ٢٨٩.

(٤) الاستيعاب: ١/ ٣٦٩.

(٥) مروج الذهب: ٢/ ٣٠٢.

(٦) مقاتل الطالبيين: ٥٥، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ٣٣.

وللتمهيد لإعادة تنظيمه والتيسير عليه استعداداً لتطورات الأوضاع المقبلة والصدامات المحتملة مع أعداء الله.

وكان من جملة المبادرات الحازمة الصارمة أمره بقتل جاسوسين كانا يرسلان لمعاوية بأخبار الخلافة وأنباء الكوفة والبصرة[1]، حيث عُدّ ذلك دليلاً على الموقف الصلب تجاه مؤامرات الأعداء ومكائدهم لتعويق مسيرة الحكم واجراءات العهد الجديد في تطبيق حكم الله والتطور نحو الغد الأفضل والأرغد.

وبعد أن انتهت مراسيم البيعة في العالم الإسلامي وفرغ الإمام من وضع الأسس الرئيسة لمسيرة الدولة، قرر أن يدعو معاوية إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون، فكتب له كتاباً قال في أواخره:

«أن علياً لما مضى لسبيله – رحمة الله عليه يوم قبض ويوم مَنَّ الله عليه بالإسلام ويوم يبعث حياً – ولاّني المسلمون الأمر بعده، فأسأل الله أن لا يزيدنا في الدنيا الزائلة شيئاً ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة. وإنما حملني على الكتاب إليك الاعذار فيما بيني وبين الله سبحانه وتعالى في أمرك، ولك في ذلك إن فعلته الحظ الجسيم والصلاح للمسلمين.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٢، والإرشاد: ١٩٣، وشرح النهج: ١٦/ ٣١.

فدع التمادي في الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنك تعلم أني أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أوّاب حفيظ ومن له قلب منيب، واتق الله، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين، فوالله ما لك من خير في أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به، فادخل في السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومن هو أحق به منك، ليطفئ الله النائرة بذلك، ويجمع الكلمة، ويصلح ذات البين.

وإن أنت أبيت إلا التمادي في غيّك نهدت إليك بالمسلمين فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين»[1].

وأرسل الإمام كتابه هذا مع رسولين هما جندب بن عبد الله الأزدي والحارث بن سويد التيمي، وقد ادّيا الرسالة وسلّما الكتاب لمعاوية، فلم يكن لدى معاوية من جواب سوى القول: «ارجعا فليس بيني وبينكم إلاّ السيف»[2].

وعاد الرسولان فأخبرا الإمام عليه السلام بجواب معاوية من إصرار على التمرد وإعلان للحرب، فكان على الحسن عليه السلام أن يعدّ للأمر عدّته قبل أن يفاجئ بالعدوان.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٦-٥٧، وشرح النهج: ١٦/ ٢٤ و٣٤.

(٢) شرح النهج: ١٦/ ٢٥-٢٦.

وهكذا عاد معاوية – ثانيةً – إلى إعلان الحرب على إمام زمانه.

ولكن تلك الحجة المهلهلة التافهة – حجة المطالبة بدم عثمان– لم يبق لها مجال في هذا التمرد الجديد.

وإذن، فما هو البرقع الذي سيبرقع معاوية به بغيه الثاني؟ وتمخضت الأدمغة المفكرة – دماغه وأدمغة مستشاريه – عن نسيج جميل الطلاء لذلك البرقع المتهرئ الممزق.

فكان مما كتب به معاوية إلى الحسن عليه السلام جواباً على الرسالة السالفة الذكر:

«قد علمتَ أني أطول منك ولاية، وأقدم منك لهذه الأمة تجربة، وأكثر منك سياسة، وأكبر منك سناً... فادخل في طاعتي»[١].

وهكذا كان الطلاء الجديد قائماً على ادعاء أن معاوية «أطول ولاية» و«أقدم تجربة» و«أكثر سياسة» و«أكبر سناً» من الحسن بن علي عليه السلام.

وإذا كان معاوية هو الأطول والأقدم والأكثر والأكبر، فلن يضير أتباعه أن يكون صاحبهم هو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»[٢].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٨، وشرح النهج: ١٦/ ٣٦.

(٢) وقعة صفين: ٢١٦، وشرح نهج البلاغة: ٤/ ٣٢ و١٥/ ١٧٦.

وهكذا صارت مقاييس الخلافة كمقاييس الأزياء أو الكمال الجسماني «أطول» و«أكبر» و«أقدم» و«أكثر».

وكانت خلاصة ذلك كله: إصرار معاوية على التمرد وعلى تكرار البغي.

ثم سارع هذا الباغي إلى جمع الجنود، وتكتيل الحشود، ولم يترك لخصمه وقتاً كافياً للإعداد.

وزحف بجيشه نحو العراق مبادراً إلى العدوان، ومعلناً –بالعمل بعد القول– بغيه وخروجه على إمام زمانه.

ولم يجد الحسن عليه السلام بُداً من التأهب للخروج بغية ردّ العدوان وصدّه، وكان هذا من أبسط واجبات الرجل الذي يتحمل مسؤولية قيادة الدولة وإدارة شؤونها العليا.

وخطب في الناس – استعداداً للخروج – خطبة مؤثرة يحثهم فيها على الجهاد والصبر عليه، قال في أثنائها:

«أما بعد، فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد: اصبروا إن الله مع الصابرين، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون»[1].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٦١، وشرح النهج: ١٦/ ٣٨.

وأدرك الحسن عليه السلام فور انتهائه من خطابه أن الناس سيتقاعسون عن الخروج وأنهم ليسوا على استعداد للصبر على آلام الحرب، لأنهم «سكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجاب بحرف»[١].

وكان لتقاعس الناس أسباب وأسباب، ولعل في طليعتها:

١ – أن الناس قد أنهكتهم الحروب عاماً بعد عام وأخذت منهم أخذاً عظيماً. فقد خاضوا ثلاث حروب طاحنة في قرابة سنتين أو تزيد قليلاً، بدءا بحرب الجمل، ومروراً بحرب صفين، وانتهاء بحرب النهروان، ولذلك كان الجيش متعباً ومفكّكاً ومكدوداً إلى أبعد الحدود.

ولعل هذه النقطة بالذات كانت من أهم أسباب استعجال معاوية بالخروج إلى حرب الحسن عليه السلام بأمل الاجهاز على جيشه المتعب المشار إليه قبل أن يستجم ويستعيد تنظيمه وقوته وقدرته.

٢ – إن المجتمع الكوفي الذي كان يعيش فيه الحسن عليه السلام لم يكن مجتمعاً موحد الصف مجتمع الكلمة، بل كان يعج بأصناف شتى من الناس، منهم أتباع بني أمية (الرتل الخامس) وكان عددهم غير قليل، وقد كاتبوا معاوية «سراً في أمورهم واتخذوا عنده

---

(١) المصدران السابقان.

الأيادي»[1]، وكتب لهم معاوية يعدهم بالمال والمغريات، كما كان من جملتهم الخوارج وهم أعداء الحسن عليه السلام وأعداء أبيه من قبل، والحمراء وهم الموالي والعبيد من أبناء أسرى الفرس في حروب الإسلام معهم في سني الفتح.

ويقول الشيخ المفيد وهو يعدّد أهواء أفراد الجيش وأهواء المجتمع الذي كان منه هذا الجيش:

«اخلاط من الناس: بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكّمة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتّبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين»[2].

وعندما يكون المجتمع الذي سينبثق منه الجيش المحارب على مثل هذا التفرق والتمزق والاختلاف، ابتداء بالرتل الخامس المتربص بالحسن عليه السلام وانتهاء بالحمراء الذين يخضعون للمزايدات المالية كفرق المرتزقة التي تحارب اليوم بعض الدول المعاصرة. فكيف يمكن للقائد أن يعتمد عليه، وكيف يركن له في الاستبسال في الجهاد والإخلاص في الفداء.

---

(١) مروج الذهب: ٢/ ٢٩٥.

(٢) الإرشاد: ١٩٣.

ومهما يكن من أمر فقد خطب الحسن عليه السلام – كما أسلفنا – وأعلن الخروج إلى الجهاد، ثم بادر إليه متوجهاً إلى النخيلة حيث اتّخذها مركزاً مؤقتاً لتجمّع المحاربين.

ثم توجه منها إلى المدائن حيث اختارها مقراً لقيادته في هذه الحرب الضروس التي لا يعلم نتائجها إلا الله، وكان اختيار المدائن نقطة للتجمع والإمداد اختياراً موفقاً لأهميتها التامة في القيام بهذه المهمة، لأنها تجمع مختلف الطرق من فارس والكوفة والبصرة والحجاز واليمن.

ولما كان معاوية قد عجّل بالمسير نحو العراق، كان على الحسن عليه السلام أن يرسل فرقة من جيشه لمقابلة جيش معاوية وإيقافه عند حده، وكان من أولى خطوات ذلك: تعيين قائد لهذه الفرقة الميدانية المقاتلة، وقد اختار لهذه المهمة ابن عمّه عبيد الله بن عباس لتوفر ثلاث ميزات فيه:

١ – إن جيش معاوية الذي تسلل إلى اليمن – أيام خلافة علي عليه السلام وولاية عبيد الله عليها – بقيادة بسر بن أرطأة كان قد قتل طفلين لعبيد الله، فكان هذا القائد صاحب ثأر شخصي من معاوية فضلاً عن كل الاعتبارات الأخرى.

٢ – إن عبيد الله كان أول داع لمبايعة الحسن عليه السلام يوم وفاة أبيه وأول مبادر إلى البيعة حينذاك، وكان متحمساً كل التحمس لهذه البيعة.

٣ – وبالنظر إلى وجود عدد من رؤوس القبائل والوجوه الكوفيين في جيش الحسن عليه السلام، فلم يكن يريد الحسن أن يثير الحساسيات لدى هؤلاء الرؤساء إذا ما اختار واحداً منهم بالذات للقيادة، وسيكون اختيار ابن عم الخليفة خارجاً عن دائرة هذه الحساسيات.

وكانت هذه الميزات الثلاث مجتمعة سبباً في اختيار هذا الرجل لهذا المركز الخطير والمهمة الصعبة.

وكان المفروض أن يجتمع لدى الحسن عليه السلام في نفيره للحرب عدد كبير من المقاتلين يعدّ بمئات الألوف من العراق فقط، وإذا طالت مدة الحرب فإن البلاد الإسلامية الأخرى ستمد الجيش – بطبيعة الحال – بالمزيد والمزيد من الجنود والحشود.

وعلى عجل أرسل الحسن عليه السلام تحت قيادة عبيد الله اثني عشر ألفاً من الجند – في أوسط الروايات[1] – لملاقاة الجيش الغازي بقيادة معاوية، وكان قد دخل الأرض العراقية وبدأ التوغل فيها باتجاه الكوفة.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/ ١٥٩، وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٩١، ومقاتل الطالبيين: ٦٢.

وضمت هذه الفرقة (الاثنا عشر ألفاً) كل العناصر الخيّرة والشريرة التي سبق لنا ذكرها، فكان فيهم من يمثل التنظيم الأموي السري، والخارجي، ومجموعة من ضعاف النفوس وضعاف الإيمان، وليس من المنطقي في حالة النفير العام أن يقوم القائد بعملية انتقاء أو فرز أو تمحيص، تماماً كما هو شأن الجيوش اليوم عندما يدعى المكلفون أو الاحتياط للالتحاق بوحداتهم حسب الظروف الطارئة، فليست هناك دولة من دول العالم المعاصر تنتقي جنودها – وهي في حالة حرب – على ضوء النوايا والدوافع والأهداف.

وهكذا كان جيش الحسن عليه السلام خليطاً من كل الناس، وحافلاً بكل الأهواء، وجامعاً لكل المخلصين والمنافقين.

وبدأ عملاء بني أمية عملهم في داخل صفوف الجيش مستعملين كل وسائل التخويف والإرهاب والحرب النفسية.

وكان من جملة أسلحتهم النافذة البارعة تلك الإشاعات التي يبثّونها هنا وهناك ويوزعوها همساً على هذا وذاك، للتشكيك بجدية هذه الحرب، وبمدى استجابة الناس للمشاركة فيها، وبمقدار ما يمكن أن تسفر عنه من نصر أو هزيمة.

ويبدو أن معاوية ومستشاريه كانوا قد أعدوا العدة لطرح فكرة الصلح بين الطرفين في الساعات الحاسمة، وكان على الجهاز التخريبي المندس في جيش الحسن عليه السلام مهمة التبشير بهذه الفكرة وإعداد النفوس لتقبلها بل لفرضها على الحسن عليه السلام إذا ما رفضها، تماماً كما فعل معاوية مع علي عليه السلام عندما طلب التحكيم وكما تم فرضه على علي عليه السلام من قبل عناصر من داخل جيشه كما هو معلوم.

ولهذا كان على عناصر بني أمية المندسين في الجيش الحسني أن تشيع فكرة الصلح وأن تهمس باستمرار أن الحسن يكاتب معاوية على الصلح، وهم بذلك يعدون الأذهان لتقبل الفكرة، ويمنعون الجيش من المحاربة، ويحطمون بذلك كل المعنويات المطلوبة في مثل هذه المواقف الحاسمة.

وبقي القائد عبيد الله بن العباس حائراً تجاه تلك الأراجيف العاصفة من جهة، وتجاه تخاذل المعنويات من جهة أخرى.

وفي خلال ساعات حيرته يصله – سراً – كتاب من معاوية يقترح عليه فيه أن يترك القيادة ويلتحق به مقابل «ألف ألف درهم» يعطى نصفها نقداً ونصفها الآخر عند دخول معاوية الكوفة[1].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٩١، ومقاتل الطالبيين: ٦٤، وشرح النهج: ١٦/ ٤٢.

واستسلم ابن عباس لنوازع نفسه الأمارة بالسوء، ونسي في تلك اللحظات ثأره بولديه عند معاوية، وبيعته لإمامه، بل نسي حتى العصبية القبلية التي تشده بالخليفة الشرعي.

وسرعان ما ركب فرسه وساقها نحو معسكر معاوية ليعلن الهزيمة ويقبض من الثمن ما اتفق عليه، «وأصبح الناس ينتظرون أن يخرج فيصلي بهم.. فطلبوه فلم يجدوه فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة»(١).

وعندما شاع في الجيش المهزوز بالإشاعات والممزق بالانقسامات فرار قائده إلى معسكر العدو، سارع كثير من الجنود زرافات ووحدانا إلى الفرار أسوة بقائدهم (البطل!) ويقدر بعض المؤرخين عدد الفارين بثمانية آلاف(٢).

وتسلم القيادة بعد فرار ابن عباس بطل عقيدي صلب الرأي حديدي العزم قوي الشكيمة ذلك هو قيس بن سعد بن عبادة – وكان الحسن عليه السلام قد عيّنه للقيادة إذا ما ألّمت بالقائد ملمة – فجمع أشتات البقية الباقية من العسكر وقام فيهم خطيباً، وكان مما قال:

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٦٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٩١.

«أيها الناس، لا يهولنّكم ولا يعظمنّ عليكم ما صنع هذا الرجل.. إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط. إن أباه عم رسول الله صلى الله عليه وآله خرج يقاتله ببدر.. وإن أخاه ولاّه علي أمير المؤمنين على البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين... وأن هذا... صنع الآن هذا الذي صنع»(١).

ووصلت هذه الانباء المؤلمة إلى الكوفة حيث العاصمة التي تتهيأ للزحف، وإلى المدائن حيث يتجمع فيها الجيش وكل المجاهدين الذين سيقدمون من الأطراف لتكون نقطة الانطلاق والمدد لحرب كان يفترض لها أن تكون صعبة المراس طويلة الأمد.

وصلت الأنباء إلى هاتين الجهتين فهزتهما هزاً عنيفاً، وكان الرتل الخامس بما لديه من مال وذكاء قد تلقف هذه الحادثة ليستغلها أعنف استغلال بأمل زيادة البلبلة والتمزّق في صفوف جيش الحسن عليه السلام وأنصاره بما يشاع – على ضوئها – من أراجيف وبما يهمس به من أكاذيب وبما سيسفر عنه كل ذلك من زعزعة الثقة بالنفس وتحطيم الأمل بالنصر وفي القضاء على وحدة الصف وتماسك الجبهة أمام عدو شرس وخطير.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٦٥.

لقد كانوا يشيعون في المدائن «أن قيس بن سعد (قائد قوة الميدان بعد ابن عباس) قد صالح معاوية وصار معه»[١].

ويشيعون في مسكن: «أن الحسن قد صالح معاوية وأجابه»[٢].

ثم تنتشر إشاعة أخرى في المدائن: «أن قيس بن سعد قد قتل فانفروا»[٣]. وتنفجر إشاعة رابعة تقول: «هذا أميركم قد بايع، وهذا الحسن قد صالح، فعلام تقتلون أنفسكم»[٤].

ثم أرسل معاوية وفداً من ثلاثة من أعوانه إلى الحسن عليه السلام للتفاوض[٥]، وقيل أنهما رسولان[٦]، ويقال أنهم عرضوا عليه كتباً تسلمها معاوية من عدد من الخونة في الكوفة[٧].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٩١.

(٢) المصدر نفسه: ٢/ ١٩١.

(٣) تاريخ الطبري: ٥/ ١٥٩.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٦٥.

(٥) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٩١.

(٦) مقاتل الطالبيين: ٦٦.

(٧) ولعلها الكُتب المذكورة في الإرشاد: ١٩٤-١٩٥، إذ قال: «وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة له في السر، واستحثوه على المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به».

واطّلع عليها الحسن عليه السلام ولكنها لم تفاجئه لمعرفته بحقيقة الناس واختلاف أهوائهم ومشاربهم. وخرج الرسولان أو الثلاثة من الخيمة وبدأ كل منهما يُحدِّث صاحبه بصوت جهير «يسمعون الناس أن الله قد حقن بابن رسول الله الدماء وسكن به الفتنة وأجاب إلى الصلح. فاضطرب العسكر، ولم يشك في صدقهم»(١).

وتلقف الخوارج الموجودون في داخل المعسكر هذه الإشاعات فثارت ثائرتهم على الصلح وثار معهم النفعيون وضعاف النفوس.

وسرعان ما عمّت الفوضى وشاعت البلبلة وفقد الجيش وحدته ونظامه وانضباطه.

وفكر الحسن عليه السلام ملياً فيما يجب عليه أن يفعل.

«وتراءت له من وراء أُفُقِه الحزين، صور ممتعة من طفولته المباركة وصباه الباكر الكريم، فتطلع منها إلى أيامه البيض الحافلة بالنور في المدينة المنورة، يوم كان يدرج فيها بموقعه الممتاز، ويوم كان يتلقف الوحي منذ لحظاته الأولى، ويتعلم كلمات الله من لسان نبي الله صلى الله عليه وآله، ويتخرج بعلمه على مصدر العلم».

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٩١.

«وذكر يوم كان طفلاً بين يدي أمه فاطمة عليها السلام ودخل عليها أبوها رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه يلعب، فقال لها: إن الله تعالى سيصلح على يدي ابنك هذا، بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

«وذكر جده قد أخذه معه إلى منبره، فهو يقبل على الناس مرة، وعليه مرة، ويقول: أن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

«ويرجع الحسن عليه السلام إلى نفسه فيقول:

ترى! هل أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن أصالح اليوم أهل الشام؟

نعم. أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك يقيناً دون شك.

وإن هذه الفتنة هي الفتنة التي عناها فيما لوّح إليه في أحاديثه الشريفة، ولا فتنة أعظم من فتنة تشق المسلمين انشقاقهم هذا»[1].

خصوصاً وأن الإمكانات العسكرية المتاحة لم تكن توحي – كما أسلفنا – بأمل نصر أكيد أو صمود فعّال أو عمل ذي اضرار مباشر بالعدو القوي المدجج.

(١) صلح الحسن: ١٦٩-١٧٣، وأحاديث الاصلاح على يدي الحسن عليه السلام مذكورة في صحيح البخاري: ٥/ ٣٢ و٩/ ٧١، وسنن أبي داود: ٢/ ٤٢٣ و٥١٩، وسنن الترمذي: ٥/ ٦٥٨.

لقد «كان للحسن عليه السلام في مسكن بقية من جيش، لا تجد المعنويات سبيلها إليه إلا بالمعجزة، بعد النكبة التي أصيب بها هذا المعسكر بخيانة قائده، وفرار ثمانية آلاف من أفراده» كما مرّ.

وفي المدائن، مجموعة من أشباح، كشفت الارجافات العدوة المربكة عن نواياها، فإذا بها لا تفتأ تتلقف الفتن، وتهم بالعظائم، ولا ترجى لميدان حرب.

وهذه هي الناحية المعنوية على واقعها الجلي الواضح.

وأما النسبة العددية فقد كان أكبر عدد بلغه جيش الحسن عليه السلام فيما زحف به إلى لقاء عدوه عشرين ألفاً أو يزيدها، وكان جيش معاوية الذي عسكر به على حدود العراق ستين ألفاً[١].

وبقي جيش معاوية خلال أيام المحنة على عدده الثابت بالتمام والكمال، وانفرط عقد جيش الحسن عليه السلام بما فعلت فيه الخيانة والرشوة والأطماع وأعمال الغدر فنالت منه عمليات الفرار والتمرد كل منال.

وإذا كانت الظروف المعنوية والعسكرية على هذه الشاكلة:

---

(١) صلح الحسن عليه السلام: ١٧٣.

فليكن الحسن عليه السلام هو ذلك المخلوق الذي ادخره الله للإصلاح لا للحرب، وللسلام لا للخصام. وليكن الغرس الذي أنبته الله للمسلمين لا لنفسه، وللدين لا للسلطان. وليكن نصيبه من هذا الموقف في الباقي دون الفاني، وفي الخالد دون الزائل، وفي الله دون الناس(١).

وإذن فليكن الصلح.

وقد يتساءل متسائل فيقول:

إذا كان الحسن عليه السلام قد أصبح على هذه الشاكلة من الوضع العسكري المتدهور، ومن هذه الفئة الصغيرة المفككة من المقاتلين، ومن تلك الظروف المعنوية السيئة التي تحيط بأنصاره وجنده، فإن من حقه أن يرضى بفكرة الصلح ويتنازل لقبولها، حقناً للدماء، وإنقاذاً لما يمكن إنقاذه من بقايا الإسلام والمسلمين.

ولكن معاوية وهو ذو الجيش القوي المتين المتماسك، والعدة الجيدة الفاخرة، والأخطبوط التخريبي القادر على التحرك والتأثير في داخل صفوف عدوه. لماذا اختار معاوية هذا طريق الصلح ولماذا اقترحه بادئ ذي بدء، وهل يدعو إلى الصلح من ضَمَن الغَلَبة وعَلِمَ بالنصر؟

---

(١) صلح الحسن عليه السلام: ١٧٤.

والجواب: أنه كانت لمعاوية دوافع متعددة تلح عليه بطلب الصلح، وليس منها – بطبيعة الحال – ما يمت إلى رغبة في حقن الدماء أو طلب لرضا الله في توحيد كلمة المسلمين. وأن في تاريخه الحافل بالمآسي والملطخ بالدماء الزكية القانية ما يدل على بعد الرجل عن هذه المشاعر السلمية، سواء منها ما ارتبط بدين أو ارتبط بالدوافع الإنسانية.

وربما كان من أبرز دوافعه إلى الصلح دافعان رئيسان:

الأول: تصوره بأنه سيحصل بتنازل الحسن عليه السلام له عن الخلافة والحكم الدنيوي على لقب قد يخدع الناس به إذ يفسره لهم بأنه تنازل ذي الحق الشرعي عن حقه، فيصبح (خليفة) للمسلمين بالمعنى الديني – لا الدنيوي – لهذه الخلافة.

وبذلك يتخلص – ولأول مرة في تاريخه الحافل – من ألقاب السوء التي كانت تطارده لقباً بعد لقب.

ولقد كان الرجل مبْتلِياً بسوء الألقاب طيلة حياته، ولا يكاد ينجو من واحد منها حتى يبتلى بآخر مثله، والمصيبة في ذلك أنها ألقاب اقتبسها المسلمون من كتاب الله وسنة رسوله فلقّبوه بها لأنه المصداق الشرعي لها بكل صدق وجلاء.

لقد كان في أول البعثة النبوية يحمل لقب (الكافر) أو (المشرك) باعتباره غير مقر برسالة الإسلام ومن فئة عباد الأصنام.

ولما حاول التخلص من هذا اللقب يوم فتح مكة منحه رسول الله صلى الله عليه وآله اللقب الجديد فكان (الطليق) ابن (الطليق).

وعندما تمرّد على إمام زمانه وخليفة عصره الشرعي علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن ينطبق عليه من الألقاب القرآنية إلا لقب (الباغي)[1] تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ**﴾ وتصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله لعمار بن ياسر رضي الله عنه: (تقتلك الفئة الباغية) وقد قتله أصحاب معاوية بصفين.

وهنا – وفي أشد ساعات محنة الحسن عليه السلام – أراد أن يتخلص من هذا اللقب بالصلح وبإيهام الناس أن الخليفة الشرعي قد تنازل له عن حقه الشرعي وليس عن الأمر الدنيوي فقط.

---

(١) وقد أشار الإمام الحسن عليه السلام إلى هذا اللقب في رسالته المارة الذكر إلى معاوية إذ قال له «اتّق الله ودع البغي».

وسنرى أنه لم يحصل بعد هذا الصلح على لقب إلا لقب صاحب الجلالة (الملك) باعتباره المقصود بـ (الملك العضوض) الذي تناقل روايته المحدثون – كما سيأتي:

الثاني من الدوافع: أنه «كان يهاب موقع الحسن عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله في الناس، ومقامه الروحي الفريد في العقيدة الإسلامية، فيتقي حربه بالصلح». ثم يحتاط لنفسه من مستقبل الحرب بينه وبين الحسن عليه السلام لو تسنى له قتل الحسن والحسين عليهما السلام وأنصار آل محمد وبقية الإسلام، فإن له من الجرأة أن «يلقي مسؤوليتها على الحسن عليه السلام نفسه، ويقول للناس غير كاذب: أني دعوت الحسن للصلح، ولكنه أبى إلا الحرب، وكنت أريد له الحياة ولكنه أراد لي القتل، وأردت حقن الدماء ولكنه أراد هلاك الناس»(١).

وهكذا دلف الطرفان للصلح، ولكل منهما دافع أو دوافع.

أحدهما – يريده: للتخلص من لقب البغي الذي يطارده وللتحكم في رقاب المسلمين رضوا أم أبوا.

لإيهام الناس بأن صاحب الحق الشرعي قد تنازل له عن (هذا الحق الشرعي).

---

(١) صلح الحسن عليه السلام: ٢٥٦.

وثـانيهما – يريـده: للحفـاظ عـلى بقيـة الكتـاب وشـعلة الإسـلام. ولـدق المسـامير في نعـش الحكـم الأمـوي، ولكسـب معركـة النصـر الدبلوماسي إذا ما خسر النصر العسكري.

وعـلى الـرغم مـن ادّعـاءات مـزوّري التـاريخ مـن أن الحسـن عليه السلام كـان هـو البـادئ بطلـب الصـلح، فقـد ثبـت تاريخيـاً أن معاويـة هـو البادئ وهو المبادر وهو المُلِح المستمر في الإلحاح.

يروي البخاري:

أن الرسـولين اللـذين بعـثهما معاويـة إلى الحسـن عليه السلام كـان قـد أوصاهما: «اذهبا إلى هـذا الرجـل فأعرضـا عليـه وقـولا لـه واطلبـا إليـه، فأتيـاه فـدخلا عليـه فـتكلما وقـالا لـه... أنـه يعـرض عليـك كـذا وكـذا ويطلـب إليـك ويسـألك. قـال (أي الحسـن عليه السلام): فمـن لي بهـذا؟ قـالا: نحن لك به، فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به»[١].

كـما يـروي البخـاري أيضـاً: أن هـذين الرسـولين قـالا لمعاويـة: «نلقاه فنقول له الصلح»[٢].

---

(١) صحيح البخاري: ٣/ ٢٣١.

(٢) صحيح البخاري: ٩/ ٧١.

ويروي الطبري:

«أرسل معاوية إلى الحسن بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه أن أشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك»[١].

وخلاصة القول:

فقد نجحت المفاوضات، واشترط الحسن عليه السلام ما يستدعيه الموقف، واتفق الطرفان على تلك الشروط، التي يمكن تلخيصها أو جمعها من مجموع النصوص التاريخية بما يأتي:

شروط الصلح

الشرط الأول – تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله وبسنة رسوله[٢].

الشرط الثاني – أن يكون الأمر للحسن عليه السلام من بعده[٣]، فإن حدث به حدث فلأخيه الحسين عليه السلام[٤]، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد[٥].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/ ١٦٢، وقريب منه في الكامل: ٣/ ٢٠٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٢، والصواعق المحرقة: ٨١.

(٣) الإمامة والسياسة: ١/ ١٥٠ و١٥٦.

(٤) عمدة الطالب: ٥٢.

(٥) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٢، والصواعق المحرقة: ٨١.

الشرط الثالث – أن يترك معاوية سبّ أمير المؤمنين عليه السلام وأن لا يذكر علياً عليه السلام إلاّ بخير[١].

الشرط الرابع – استثناء ما في بيت مال الكوفة فلا يشمله تسليم الأمر. وكذلك استثناء خراج دار أبجرد[٢] لتفريقه في بني هاشم وأولاد من قتل مع أمير المؤمنين عليه السلام في حربي الجمل وصفين.

الشرط الخامس – أمان الناس حيث كانوا من أرض الله، وأن أصحاب علي عليه السلام وشيعته حيث كانوا آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً ولا يتعرض لأحد منهم بسوء[٣]، وأن لا يبتغي للحسن بن علي عليه السلام ولا لأخيه الحسين عليه السلام ولا لأحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وآله غائلة سرّاً ولا جهراً[٤].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/ ١٦٠، ومقاتل الطالبيين: ٦٧، وكامل ابن الأثير: ٣/ ٢٠٣، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ٤٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/ ١٦٠، والأخبار الطوال: ٢١٨، وكامل ابن الأثير: ٣/ ٢٠٣.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٦٦-٦٧، والأخبار الطوال: ٢١٨، وتاريخ الطبري: ٥/ ١٦٨، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ٢٢، والصواعق المحرقة: ٨١.

(٤) الصواعق المحرقة: ٨١.

ويبدو من بعض النصوص التاريخية أن هناك ملحقاً لهذه الاتفاقية فيه أبرز أسماء أصحاب الحسن عليه السلام وقادة جيشه ممن اشترط لهم الأمان في هذه الاتفاقية[1].

و«كتب معاوية جميع ذلك بخطه، وختمه بخاتمه، وبذل عليه له العهود المركبة والأيمان المغلظة، وأشهد على ذلك جميع رؤساء الشام»[2].

ولابد لنا قبل الحديث عن موقف هذين المتعاهدين أو المتصالحين من معاهدة الصلح وعن مدى تنفيذهما لما ورد فيها من شروط والتزامات أن نقف قليلاً عند لفظ (الأمر) الذي تنازل عنه الحسن عليه السلام وتعهد بتسليمه إلى معاوية.

هل هو «الخلافة» كما ادّعى بعضهم؟

هل هو «البيعة» كما زعم بعض آخر؟

أم هو «الإمامة» كما توهم ابن قتيبة وأغرق في توهمه؟

---

(١) جاء في شرح النهج: ١٦/ ١٨ «طلب زياد رجلاً من أصحاب الحسن، ممن كان في كتاب الأمان فكتب إليه الحسن... أما بعد: فقد علمت ما كنا أخذنا من الأمان لأصحابنا... الخ».

(٢) الأخبار الطوال: ٢١٨.

ولعل من الموضوعية – كل الموضوعية – التي لا غنى عنها في مثل هذا الوضع الشائك الملغم بالتأويلات والتخرصات أن نرجع إلى المتعاقدين – نفسيهما – لنستقرئ كلامهما ونستنبط من تصريحاتهما وما أُثِر عنهما معنى «الأمر» المتعاقد عليه بينهما.

فمعاوية في خطابه في الكوفة يعلن أنه لم يقاتل الناس في سبيل إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأداء فريضة الحج وإنما قاتلهم «ليتأمَّر» عليهم و«يلي رقابهم»(١).

ومعاوية يعلن – أيضاً – بعد الصلح هدفه منه فيقول: «رضينا بها مُلكاً»(٢).

ومعاوية نفسه يقول في مناسبة أخرى: «إني لا أحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين مُلكنا»(٣).

ومعاوية نفسه يعترف في مناسبة أخرى: «والله أنه لملك»(٤).

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٦/ ١٥.

(٢) البداية والنهاية: ٦/ ٢٠٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٥/ ٣٣٦.

(٤) تاريخ الطبري: ٥/ ٣٣٤.

والحسن عليه السلام - وهو الطرف الآخر في الاتفاقية - يقول في خطاب له ومعاوية يسمع: «وليس الخليفة من سار بالجور، ذلك ملك مُلكاً يمتع به قليلاً ثم تنقطع لذته وتبقى تبعته»(١).

والحسن عليه السلام يصارح شيعته في الكوفة فيقول لهم: «ما أردت بمصالحتي إلا أن أدفع عنكم القتل»(٢).

وإلى كثير وكثير من أمثال هذه النصوص رواها المؤرخون عن الحسن عليه السلام وعن معاوية وهما أدرى بما اتفقا عليه. وكله صريح على أنهما لم يفهما من «الأمر» المتعاقد عليه سوى حكم الدنيا والمُلك المحض، بعيداً عن كل بيعة شرعية وإمامة دينية وخلافة إسلامية.

وهذا المعنى هو الذي فهمه الناس أيضاً يومذاك - أو الأذكياء من الناس - واعتبروه هو الهدف في التعاقد بين الحسن عليه السلام ومعاوية.

فسعد بن أبي وقاص لم يجد ما يُحيّي به معاوية عندما دخل عليه إلا أن يقول: «السلام عليك أيها الملك»(٣).

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٣، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ٤٩.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٢١.

(٣) كامل ابن الأثير: ٣/ ٢٠٥.

وأبـو هريـرة لم يجـد مـا يـبرر بـه حكـم الشـام إلا أن يطـرح عـلى الناس فكرة «الخلافة بالمدينة والملك بالشام»[١].

وابن عبـاس لم يجـد مـا يـرضي بـه معاويـة مـن الثنـاء إلا أن يقـول: «ما رأيت أحداً أخلق للملك من معاوية»[٢].

وسـفينة لم يجـد مـا يـبرر بـه حكـم معاويـة إلا أن يقـول: «الخلافـة ثلاثون ثم تكون مُلكا»[٣].

وصعصـعة بـن صـوحان العبـدي لم يـر بُـداً مـن مصـارحة معاويـة بقوله:

«أنّـى يكـون الخليفـة مـن ملـك النـاس قهـراً، ودانهـم كـبرا، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً»[٤].

وهكذا يـتجلى بكـل وضـوح أن «الأمـر» في هـذه المعاهـدة هـو أمـر الدولـة وشـؤونها الإداريـة، ولـيس الخلافـة الشـرعية ولا الإمامـة الدينيـة كـما زعـم بعـض الـزاعمين، وهـو بنفسـه «الأمـر» الـذي عنتـه الآية الشريفة:

---

(١) البداية والنهاية: ٦/ ٢٢١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/ ٣٣٧.

(٣) البداية والنهاية: ٦/ ٢٢٠، وتاريخ أبي الفدا: ١٨٣.

(٤) مروج الذهب: ٢/ ٣٤٠.

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(١) حيث يكون «الأمر» الذي أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بمشاورة الناس فيه هو كيفية إدارة الدولة وأسلوب تنظيم مسيرة الحكم، وليس النبوة نفسها أو الإمامة ذاتها كما ادّعى بعض المدّعين(٢).

وإذا اتّضح لنا ذلك بهذا الجلاء صحّ منا أن نقف متريّثين فاحصين عند شروط الصلح شرطاً شرطاً لنرى مدى وفاء الطرفين بها وبما الزما به نفسيهما من عهود ومواثيق في تنفيذ المعاهدة وتطبيق التزاماتها.

الموقف من الشرط الأول

وكان هذا الشرط يتضمن فقرتين:

الأولى – تسليم الحسن عليه السلام الأمر إلى معاوية.

وقد وفى الإمام بذلك فسلّم الأمر بإجماع المؤرخين واتّفاق الرواة والمحدثين.

الثانية – أن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة رسوله، ويبدو أن معاوية كان مصمماً على عدم تنفيذ ذلك، فقد صعد منبر مسجد الكوفة بعد توقيع الصلح وقال مخاطباً جموع المسلمين:

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) يراجع كتابنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٩١-٩٣.

«يا أهل الكوفة، أترون قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمتُ أنكم تصلون وتزكون وتحجون. ولكنني قاتلتكم لأتأمر عليكم وألي رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون»[1].

ثم أردف قائلاً: «وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين»[2].

وفي نص آخر: «إلا أن كل شيء أعطيته للحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به»[3].

وعندما يجعل معاوية كل «العهود المؤكدة والأيمان المغلظة» تحت قدميه فإنه بذلك ليعلن بملء فمه أنه لن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله. لأن كتاب الله الخالد يقول: **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذا عاهَدْتُمْ﴾**، **﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً﴾**، **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾**، **﴿وَمَنْ أَوْفى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾**.

---

(١) شرح النهج: ١٦/ ١٥، وقريب منه في مقاتل الطالبيين: ٧٠.

(٢) شرح النهج: ١٦/ ١٥، ولم يشأ الطبري أن يذكر عبارة معاوية بوضعه العهود والأيمان تحت قدميه فقال: لم ينفذ للحسن من الشروط شيئاً «تاريخ الطبري: ٥/ ١٦٣».

(٣) مقاتل الطالبيين: ٦٩.

أما من خان العهود وتمرّد على الأيمان فهو مصداق قوله تعالى في محكم كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾، ﴿وَما وَجَدْنا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنا أَكْثَرَهُمْ لَفاسِقِينَ﴾.

وحسبنا ذلك وحده دليلاً على عدم الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله وعلى عدم وفائه بهذه الفقرة التي اشترطت عليه ذلك.

ولن يتسع المجال هنا – ونحن نريد التلخيص والاختصار – أن نستعرض كل مخالفات معاوية لكتاب الله وسنة رسوله، وقد تكفلت عدة دراسات ببحث هذا الموضوع، وفي طليعتها النصائح الكافية لمن يتولى معاوية للمرحوم الشيخ محمد بن عقيل الحضرمي والجزآن العاشر والحادي عشر من كتاب الغدير في الكتاب والسنة والأدب للمرحوم الشيخ عبد الحسين الأميني، وكلاهما مطبوع أكثر من مرة.

الموقف من الشرط الثاني:

لقد نقض معاوية هذا الشرط علناً وجهاراً عندما نصب ولده يزيد على رقاب الناس وأكرههم على الرضوخ لذلك.

وكانت لمعاوية في سبيل تأمير يزيد محاولتان: اولاهما في حياة الإمام الحسن ﷺ ولم تنجح، والثانية بعد قتل الحسن ﷺ وفراغ المجال أمام المؤامرة.

وروى المؤرخون أن أولى المحاولتين كانت باقتراح من المغيرة بن شعبة والي معاوية على الكوفة – وفي قصة طويلة لا مجال لسردها في هذا المختصر –، وكان مما قاله المغيرة ليزيد: «انه ذهب أعيان أصحاب النبي وكبراء قريش وذوو أسنانهم، وإنما بقى أبناؤهم، وأنت من أفضلهم وأحسنهم رأياً! وأعلمهم بالسنة والسياسة!»، ثم كان مما قاله معاوية للمغيرة: «ومن لي بهذا؟»، قال: «أنا أكفيك أهل الكوفة، ويكفيك زياد أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحد يخالفك».

وتواطأ معاوية مع رؤساء الوفود المناصحين له أن يخطبوا ويذكروا فضل يزيد!. «فلما اجتمعت عند معاوية وفود الأمصار.. دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري فقال له: إذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتي وكلامي! فاستأذن للقيام، فإذا اذنا لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذي يحق له من حسن الثناء عليه ثم ادعني إلى توليته. ثم دعا عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبيد الله بن مسعدة الفزاري وثور بن معن السلمي وعبد الله بن

عصام الأشعري فأمرهم أن يقوموا إذا فرغ الضحاك وأن يصدّقوا قوله. فقام هؤلاء النفر خطباء يشيدون بيزيد».

وفوجئ الأحنف بن قيس زعيم تميم بهذا الكلام المفجع فقام خطيباً وكان مما قال: «إن أهل الحجاز وأهل العراق لا يرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد ما دام الحسن حيّاً».

ثم زاد الأمر إيضاحاً فقال:

«وقد علمت يا معاوية أنك لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليه قعصاً، ولكنك أعطيت الحسن بن علي من عهود الله ما قد علمت ليكون له الأمر من بعدك... والله أن وراء الحسن خيولاً جياداً، وأذرعاً شداداً، وسيوفاً حداداً، وأن تدن له شبراً من غدر تجد وراءه باعاً من نصر. وأنك تعلم من أهل العراق إنهم ما أحبوك منذ أبغضوك، ولا أبغضوا علياً وحسناً منذ أحبوهما».

وفهم معاوية أن الأمر لن يتم ليزيد ما دام الحسن عليه السلام حياً فصمّم على التخلص منه بأية صورة.

ثم كرّ كرته الثانية بعد وفاة الحسن عليه السلام، وشنّ حملة شعواء على كل المسلمين الطيبين تمهيداً لهذه البيعة، وفعل الأفاعيل، وساس الناس بالعنف والإرهاب، وبلغت الحال به حدّ «عزل مروان عن

المدينة حين عجز عن أخذ البيعة على أهلها ليزيد» وفشل في إخضاعها لشهوة الحاكم بأمره[1].

وكان ذلك هو النقض الصريح للشرط الثاني من شروط اتفاقية الصلح.

الموقف من الشرط الثالث:

يقول المؤرخ أبو الحسن المدائني وهو يصور الوضع العام لسلوك الدولة بعد صلح الحسن عليه السلام: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته. فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر، يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته»[2].

ويقول ابن أبي الحديد نقلاً عن الجاحظ: «أن معاوية كان يختم خطبته بقوله: اللهم إن أبا تراب – يعني علياً عليه السلام – ألحد في دينك!

(١) رجعنا فيما مر إلى: تاريخ الطبري: ٥/ ٣٠١-٣٠٤، وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٩٥-١٩٦ و٢٠٣، والإمامة والسياسة: ١/ ١٥٢-١٥٩ و١٦٠-١٦٥، ومروج الذهب: ٢/ ٣٢٨-٣٣٠، وكامل ابن الأثير: ٣/ ٢٤٩-٢٥٢، والبداية والنهاية: ٨/ ٧٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١١/ ٤٤.

وصدّ عن سبيلك! فالعنه لعناً وبيلاً! وعذّبه عذاباً أليما! وكتب بذلك إلى الآفاق فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر»[١].

ثم يروي ابن أبي الحديد بضعة نماذج من أساليب معاوية في سب علي عليه السلام والتشهير به فيقول:

«إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغَبُ في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير»[٢].

وذكر – مثالاً على ذلك – ما وضعه عروة بن الزبير من أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعائشة وقد أقبل العباس وعلي عليه السلام: «إن سرَّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا»[٣].

أقول: وما أدري لماذا يكون النظر لأهل النار موجباً لسرور أم المؤمنين!

ويتابع ابن أبي الحديد روايته فيقول:

---

(١) المصدر نفسه: ٤/ ٥٦-٥٧.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٦٣.

(٣) المصدر نفسه: ٤/ ٦٤.

«وأما عمرو بن العاص، فرُوي عنه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما[1] مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله يقول: أن آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليِّي الله وصالح المؤمنين»[2].

وأما أبو هريرة فإنه لما قدم العراق بصحبة معاوية بعد صلح الحسن عليه السلام «جاء إلى مسجد الكوفة... وقال... والله لقد سمعت رسول الله يقول: أن لكل نبي حرماً، وأن حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها، فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاّه إمارة المدينة»[3].

---

(١) صحيح البخاري: ٨/ ٧، وصحيح مسلم: ١/ ١٣٦، ومسند أحمد: ٤/ ٢٠٣، وقد خجل الجميع من التصريح فقالوا: «آل أبي فلان» وإن لَّمح البخاري إلى المقصود فقال: «زاد عنبسة... ولكن لهم رحم».

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٦٤.

(٣) المصدر نفسه: ٤/ ٦٧. ويعلق ابن أبي الحديد المعتزلي عند ذكر أبي هريرة قائلاً: «أبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضي الرواية. ضربه عمر بالدرة وقال: قد أكثرت من الرواية وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله.

وروى ابن أبي الحديد أيضاً «أن معاوية بذل لسمرة بن جندب[1] مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلى ما فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ * وَإِذا تَوَلَّى سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ﴾ وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ﴾ فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف، فقبل وروى ذلك»[2].

إلى كثير مما رواه هذا المؤرخ وغيره في سنة معاوية[3] في سب علي عليه السلام، وفي الاهتمام الغريب العجيب في تدعيم هذه السنة، وفي دفع الأموال الطائلة – أموال الشعب المسلم الجائع الفقير – في سبيل ذلك.

---

(١) يراجع في جرائم سمرة بن جندب وعدد مَنْ قَتَلَ من المسلمين الصالحين كتاب تاريخ الطبري: ٥/ ٢٣٦-٢٣٨.

(٢) شرح النهج: ٤/ ٧٣.

(٣) ومن عنف عمق هذه السُنة: أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كف عن شتم علي عليه السلام «فقال الناس: ترك السنة» شرح النهج: ١٣/ ٢٢٢.

وعندما قال ابن عباس لمعاوية: «ألا تكف عن شتم هذا الرجل؟ قال: ما كنت لأفعل حتى يربو عليه الصغير ويهرم فيه الكبير»[١].

وعندما قال له قوم من بني أمية: «إنك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل؟ فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر له ذاكر فضلاً»[٢].

وكانت وصية معاوية المؤكدة للمغيرة بن شعبة واليه على الكوفة قوله: «ولست تاركاً ايصاءك بخصلة، لا تترك شتم علي وذمّه»[٣]. وفي رواية الطبري: «ولست تاركاً ايصاءك بخصلة: لا تتحمّ عن شتم علي وذمّه»[٤].

وخلاصة القول – ولا نريد الإطالة – أن معاوية قد نقض هذا الشرط من شروط المعاهدة على رغم «الأيمان المغلّظة» التي أعطاها للحسن عليه السلام.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ٤/ ٥٧.

(٣) الكامل لابن الأثير: ٣/ ٢٣٤.

(٤) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٥٣.

وحسبنا أن نقول:

أن ابن أبي سفيان بعمله هذا كان أول من فتح باب سب الصحابة في تاريخ الإسلام. وسيتحمل - يوم غد - حساب أوزار هذا الباب المفتوح من ذلك اليوم.

وعند الله تجتمع الخصوم.

الموقف من الشرط الرابع

يروي الطبري أن أهل البصرة قد حالوا بين الحسن عليه السلام وبين خراج دار أبجرد المنصوص عليه في الشرط الرابع وقالوا: «فيؤنا»[١]. ويقول ابن الأثير: ان هذا المنع كان بأمر معاوية نفسه[٢].

وعندما يقف الباحث المنصف على استثناء هذا الخراج والنص عليه في صلب المعاهدة يعلم مدى التجنّي الذي وقع فيه بعض المؤرخين عندما زعموا أن الحسن عليه السلام قد باع مقام الخلافة بهذا المبلغ.

وشتّان بين الاستثناء الذي يشترطه صاحب الحق وبين البيع الذي لا يجيده إلا طلاب الدنيا والمتكالبون على الملك.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/ ١٦٥.

(٢) الكامل: ٣/ ٢٠٣.

ولهذا يقول ابن أبي الحديد: أن المال الذي قرر الحسن والحسين أخذه إنما هو «من جملة حقهما من بيت المال، فإن سهم ذوي القربى منصوص عليه في الكتاب العزيز، ولهما غير سهم ذوي القربى سهم آخر للإمام من الغنائم»[1].

الموقف من الشرط الخامس

يقول المؤرخ أبو الحسن المدائني متحدثاً عن موقف معاوية بعد الصلح من أصحاب الحسن عليه السلام وشيعته وشيعة أبيه:

«كان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضمّ إليه البصرة، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف... فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم، فلم يبق بها معروف منهم»[2].

«وكتب معاوية إلى عمّاله في جميع الآفاق: ألاّ يجيزوا لأحدٍ من شيعة علي عليه السلام وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم: أن أنظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١١/ ٣٤٩.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١١/ ٤٤-٤٦.

ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته، ففعلوا ذلك، حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع... ثم كتب إلى عمّاله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر... فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة... فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها... ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: أنظروا من قامت عليه البيّنة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه. وشفع ذلك بنسخة أخرى: مَن اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره... فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر... وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون والمستضعفون، الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل... الخ».

وكان من جملة ضحايا معاوية وقتلاه:

الصحابي الجليل المعروف بالفضل والزهد والتقوى وكثرة العبادة حجر بن عدي الكندي[١]. فقد قتل – وبرفقته ستة من أصحابه – بأمر معاوية في مرج عذراء في غوطة دمشق وقبورهم هناك معلومة ومشهورة إلى اليوم.

وكانت جريمتهم الكبرى أنهم يوالون علياً عليه السلام ويردّون السب عنه.

وقد سبق وصولَهم إلى ضواحي دمشق وصولُ شهادة حرّرها مرتزقة زياد بن أبيه وأرسلوها إلى معاوية، وقد جاء فيها: «أن حجر بن عدي خلع الطاعة، وفارق الجماعة، ولعن الخليفة، ودعا إلى الحرب والفتنة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة... وكفر بالله عز وجل»[٢]. وكان ممن وقّع على هذه الصحيفة (الفاجرة) عمر بن سعد وعمرو بن الحجاج الزبيدي وشمر بن ذي الجوشن وشبث

---

(١) يراجع في ترجمة حجر وتفاصيل حادث استشهاده: تاريخ الطبري: ٥/ ٢٥٣-٢٧٧، والاستيعاب - هامش الإصابة -: ١/ ٣٥٥-٣٥٨، والكامل لابن الأثير: ٣/ ٢٣٣-٢٤٢، والبداية والنهاية: ٨/ ٥٠-٥٥، وأُسد الغابة: ١/ ٣٨٥-٣٨٦، والإصابة: ١/ ٣١٣-٣١٤.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٦٩.

بن ربعي وحجار بن أبجر وزجر بن قيس وأضرابهم، وكانوا سبعين رجلاً[١].

وما أن بلغت هذه الشهادة معاوية حتى كتب إلى زياد أن يشد حجراً في الحديد ويرسله إليه[٢]. فحمل وحمل معه بعض المجاهدين الآخرين من أصحابه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وصاروا بهم إلى مرج عذراء، وجاءهم رسول معاوية في رهط من جلاوزته، فقال لحجر: «أن أمير المؤمنين! أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولي لأبي تراب، وقتل أصحابك، إلاّ أن ترجعوا عن كفركم! وتلعنوا صاحبكم وتتبرؤوا منه»، فقال حجر وأصحابه: «إن الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما تدعوننا إليه، ثم القدوم على الله وعلى نبيه وعلى وصيه أحب إلينا من دخول النار»[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٥٦، والكامل: ٣/ ٢٤٣.

(٣) مروج الذهب: ٢/ ٣٠٨.

وهكـذا قتـل حجـر بـن عـدي في موقـف تـاريخي خالـد لا مجـال لسرد تفاصيله[١] وقتل معه:

شريك بن شداد الحضرمي[٢].

وصيفي بن فسيل الشيباني[٣].

وعبد الرحمن بن حسان العنزي[٤].

وقبيصة بن ضبيعة العبسي[٥].

وكدام بن حيان العنزي[٦].

ومحرز بن شهاب التميمي[٧].

---

(١) وتجد التفصيل في المراجع السابقة وبخاصة تاريخ الطبري: ٥/ ٢٥٤-٢٧٩، ويروي الطبري: أنه لما حضرت معاوية الوفاة «جعل يغرغر بالصوت ويقول: يومي منك يا حجر يوم طويل».

(٢) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٧٧.

(٣) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٦٦ و٢٦٧ و٢٧٦-٢٧٧.

(٤) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٧، ويقول ابن الأثير في الكامل: ٣/ ٢٤٢: «أنه دفن حياً».

(٥) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٧٧.

(٦) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٧٧.

(٧) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٧٧.

كما قتل في تلك الفترة من مشاهير صحابة محمد صلى الله عليه وآله:

عمرو بن الحمق الخزاعي[١]، ونصب معاوية رأسه «ودير به في السوق»[٢]. وأوفى بن حصن[٣].

إلى عشرات بل مئات من أضرابهم ممن طمس الحكم الأموي على أسمائهم فلم نعد نعرفها.

وكان لكل واحد ممن ذكرنا قصة رائعة من قصص الصمود والثبات والبطولة مع عمال معاوية وولاته الجلادين السفاحين، أعرضنا عن ذكرها لما تستدعيه من التطويل الذي لا يناسب حجم هذا الكتاب وهذه السلسلة[٤].

وخلاصة القول:

فقد تجلّى لنا من كل ما سلف بيانه أن معاوية قد خاس بكل وعوده ومواثيقه، وجعل عهود الله وأيمانه المغلظة تحت قدميه، وبرز أمام المسلمين على واقعه العاري المجرد من كل الألوان والرتوش.

---

(١) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٦٥.

(٢) المحبر: ٤٩٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٣٥-٢٣٦.

(٤) تاريخ الطبري: ٥/ ٢٥٩-٢٨٥، والكامل: ٣/ ٢٣٣-٢٤٣.

كما تجلّى لنا أيضاً بكل وضوح مدى نجاح الحسن عليه السلام – وهو نجاح كبير جداً – في وضع هذه الشروط الخمسة التي علم أنها ستكشف للناس المغرر بهم حقيقة معاوية المتمردة على كل دين أو شرع أو عرف أو عهد أو ميثاق.

وهكذا أصبح:

«أول رأس يطاف به في الإسلام رأس أحد أولئك الشيعة الصابرين، وبأمر معاوية يطاف به.

وأول إنسان يدفن حياً في الإسلام منهم، وبأمره يفعل به ذلك.

وأول امرأة تسجن في الإسلام منهم، وهو الآمر بسجنها.

وأول شهداء يقتلون صبراً في الإسلام منهم، وهو الذي قتلهم.

واستقصى معاوية بنود المعاهدة كلها بالخلف. فاستقصى أيمانه المغلّظة بالحنث ومواثيقه المؤكدة التي واثق الله عليها بالنقض.

فأين هي الخلافة الدينية يا ترى»[1]؟

وهنا يحين وقت ايراد السؤال المهم بل الرئيس في هذا الموضوع:

---

(١) صلح الحسن عليه السلام: ٣٦٢.

لماذا آثر الحسن عليه السلام المهادنة والصلح مع معاوية ولم يستمر في الحرب قدماً حتى نهاية الشوط ونيل الشهادة؟

وإذا كان الصلح هو الملجأ المقبول والصحيح في مثل هذه المواقف فلماذا لم يصالح الحسين عليه السلام يزيد، مع علمه بعدم إمكان النصر بل استحالة الغلبة في تلك الحرب غير المتكافئة؟

ولما كان صلح الحسن عليه السلام واستشهاد الحسين عليه السلام يمثلان موقفين متضادين – كل التضاد – فكيف يتسنى لنا تصحيح هذين الموقفين؟، وهل يمكن أن يكون الحق حقاً في كلا الجانبين المتضادين؟

وإنه لسؤال، أو أسئلة وجيهة كل الوجاهة، لما تحمل في طيّاتها من البحث عن «سر الموقف» في المسألة كلها.

ولابد – لمعرفة الجواب عن هذا كله – من تمهيد ندرس فيه ظرف الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام من سائر جوانبه وأبعاده، ظرف كل منهما من جهة أعدائه وخصومه، وظرف كل منهما أيضاً من جهة أنصاره وأتباعه.

الأعداء والخصوم:

وحسبنا في كل ذلك – ونحن نروم التلخيص والاختصار – أن نعلم أن رأس أعداء الحسن عليه السلام هو معاوية.

ولمعاوية – كما يعلم كل مطّلع على التاريخ – خطره الكبير وأهميته البالغة، وذلك لما كان يتمتع به من ذكاء وتحيّل وقدرة على التضليل من جهة، ولعدم التزامه بالقيود الدينية والأحكام الشرعية التي يجب على المسلم الالتزام بها من جهة أخرى.

وإذا كان علي عليه السلام قد أوجز صفات معاوية في قوله: «والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر»(١)، فإن المؤرخين قد شرحوا لنا ذلك بكل تفصيل وجلاء، على الرغم من كل ما فعل الأمويون والعائشون على موائدهم من طمس لمعالم التاريخ وتشويه لحقائقه وإخفاء لكثير من شؤونه وجوانبه.

فلقد وضع معاوية – كما أسلفنا – قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين، لاختلاق الأخبار ووضع الأحاديث ونسج الأكاذيب، وروى نفطويه في تاريخه: «إن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم»(٢).

ولن يهمنا في المقام ما تم تلفيقه في فضائل الصحابة، وما حيك بالباطل في الثناء على بعض من لا يستحق الثناء، لأن له مجالاً غير مجالنا هذا.

---

(١) نهج البلاغة: ١/ ٤١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١١/ ٤٦.

ولكن الذي يهمنا – هنا – هو أن نعرف موقف معاوية من الإسلام – وهو دين الله – ومن محمد صلى الله عليه وآله – وهو رسول الله – ومن التعاليم – وهي أحكام الله الواجبة الاتباع –.

١ – يروي الزبير بن بكار عن المطرف بن المغيرة بن شعبة قال: «دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه. إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتماً، فانتظرته ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟، فقال: يا بني جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: أنك بلغت سناً يا أمير المؤمنين! فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى أخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيئاً تخافه، وأن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر. وأن ابن أبي كبشة (يعني رسول الله صلى الله عليه وآله) ليصاح به

كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمد رسول الله. فأي عمل يبقى وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك! لا والله إلا دفناً دفناً»(١).

٢ - «أن النعمان بن بشير الأنصاري جاء في جماعة من الأنصار إلى معاوية، فشكوا إليه فقرهم وقالوا: لقد صدق رسول الله ﷺ في قوله لنا: ستلقون بعدي اثرة، فقد لقيناها. قال معاوية: فماذا قال لكم؟ قالوا: قال لنا «فاصبروا حتى تردوا عليّ الحوض» قال: فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غداً عند الحوض كما أخبركم».

ويقول ابن أبي الحديد تعليقاً على هذا الخبر:

«وهذا الخبر هو الذي يكفر كثير من أصحابنا (يعني المعتزلة) معاوية بالاستهزاء به»(٢).

ويقول في مكان آخر من كتابه:

«قد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية، ولم يقتصروا على تفسيقه، وقالوا عنه: أنه كان ملحداً لا يعتقد النبوة»(٣).

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٥/ ١٢٩-١٣٠.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٦/ ٣٢، وورد أصل الخبر والحديث بين النعمان ومعاوية في تاريخ الخلفاء: ١٣٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٥/ ١٢٩.

٣- أنكر أبو الدرداء على معاوية لبسه الحرير وشربه في آنية الذهب والفضة، وقال له: «إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أن الشارب فيها ليجرجر في جوفه نار جهنم» فقال له معاوية: أما اني فلا أرى بذلك بأساً. فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية! أنا أخبره عن الرسول صلى الله عليه وآله وهو يخبرني عن رأيه»(١).

وعلى هذه الوتيرة عدد ضخم من النصوص التاريخية الصريحة في استهزاء معاوية بالرسالة والأحكام والرسول صلى الله عليه وآله نفسه.

ومن هنا نفهم مغزى قول النبي صلى الله عليه وآله حينما صرّح وصارح المسلمين آمراً إياهم: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه» أو «فاضربوا عنقه» كما مرّ في هذا الكتاب.

وهكذا يكون «رأس» أعداء الحسن عليه السلام رجلاً مجاهراً بالعداء للإسلام، وخطراً - أشد ما تكون الخطورة - على الرسالة وأحكام الشريعة، لا لأنه غير متدين وغير ملتزم فحسب، وإنما لأنه يخطط لـ «دفن» اسم رسول الله صلى الله عليه وآله ويعلن الاستهزاء بما أثر عنه من أحكام وأحاديث، وفي ذلك رد مباشر على القرآن الكريم وعلى أمر الله تعالى فيه بقوله جل وعلا: ﴿**وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾.

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٥/ ١٣٠.

أما «رأس» أعداء الحسين عليه السلام فقد كان مفضوحاً – كل الفضيحة – بمجونه وفسقه وفجوره، كما كان أغبى من أن يخطط لشيء، وأجهل من أن يجعل لنفسه هدفاً خطيراً شريراً كهدف أبيه.

وكان لـ «رأس» أعداء الحسن عليه السلام من الحاشية والمستشارين الأذكياء الدهاة مجموعة ضخمة يحسب لها ألف حساب.

أما «رأس» أعداء الحسين عليه السلام فكانت حاشيته مجموعة من الرجال المتقنين لصنع الخمر وشربها، وشد الدفوف وضربها، وايقاع الغناء وترجيعه، وشراء القيان والتمتع بها، واتقان تهيئة أجواء اللهو والعربدة وإجادة القيام بها.

وشتّان بين هذين «الرأسين».

ومن هنا كان ظرف الحسن عليه السلام من عدوه ظرفاً خطيراً وفظيعاً جداً، لما كان يجسد هذا العدو من أخطار، بحكم ما توفر لديه من طاقات وإمكانات لا تحد لشراء الضمائر وإفساد النفوس وشلّ حركة الخصم والإيقاع به بلا حدود.

أما ظرف الحسين عليه السلام فكان ظرفاً مملوءاً بالإرهاب الغبي والعنف البليد والشراسة الرعناء والعدوان العاري المفضوح.

ولهذا كان عمر بن عبد العزيز في أول شبابه لا يعلم إن كان علي من أهل بدر[١]، وما ذاك إلا لأن معاوية قد أحسن التخطيط.

ولكن عمر بن عبد العزيز هذا لم يكن يجهل الحسين عليه السلام، لأن يزيد لم يستطع الإخفاء والتستر على جرائمه.

الأنصار والأتباع:

أما ظرف الحسن عليه السلام من جهة أنصاره وأتباعه فحسبنا منه ما علمناه من أمر الجيش الذي أخذ مواقعه من صفوف الجهاد ثم فر ثلثاه ونفرت به الدسائس المعادية، فإذا هو رهن الفوضى والتمرد والتمزق، وإذا به الجيش الذي فقد أي أمل في نجاح وأية ثقة في نصر.

وبذلك كان هؤلاء الأتباع الذين صحبوا الحسن عليه السلام إلى معسكراته كمجاهدين، ثم نكث أكثرهم البيعة وفروا إلى عدوهم مستسلمين أو خرجوا على إمامهم متمردين، كانوا شراً من أولئك الذين نكثوا بيعة الحسين عليه السلام قبل أن يواجهوه وأن يخرجوا معه.

وها هم المؤرخون قد أجمعوا على رواية مدى عنف ذلك التمرد الذي قام به أفراد من جيش الحسن عليه السلام، إذ «نفروا نهبوا سرادق الحسن حتى نازعوه بساطاً كان تحته»[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٥٨-٥٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/ ١٥٩ و٧/ ١٦٨.

«وجاءه جراح بن سنان الأسدي – أحد بني نصر بن قعين – في مظلم ساباط»[١]، وكان قد كمن له هناك «فجرحه بمغول في فخذه.. فنزف نزفاً شديداً واشتدت به العلة»[٢]، و«مضى الحسن مثخناً حتى دخل المدائن»[٣].

وكان المعنى الجلي لهذا الواقع الأليم أنه لم يعد بإمكان الحسن عليه السلام أن يعتمد على هذا الجيش بعد أن انتشرت الفوضى في جنباته، وأفقدت الموقف قابلية الاستمرار والصمود كما أشير إليه سابقاً.

أما الحسين عليه السلام فقد مهد لحربه – بعد أن نخلت حوادث الخيانة أنصاره – جيشاً من أروع جيوش التاريخ إخلاصاً في النية وتفادياً في الطاعة وإن قلّ عدداً، فلم يكن بين أفراده من يُحتمل فيه الانتقاض على الحسين عليه السلام ومحاولة قتله، أو الشك في إخلاصه لإمامه واستبساله في الدفاع عنه.

وهكذا يتجلى الفرق الكبير والبون الشاسع بين ظرف الحسن وظرف الحسين عليهما السلام.

---

(١) المحبر: ١٩، وفي نص تاريخ بغداد: ١/ ١٤٠ «فطعنه في خاصرته».

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٩١.

(٣) الأخبار الطوال: ٢١٧.

ولم يكن من الاحتمال البعيد ما قدره الإمام الحسن عليه السلام احتمالاً قريباً – فيما لو اشتبك مع عدوه في حرب يائسة كهذه – أن تجر المعركة بذيولها أكبر كارثة على الإسلام، وأن تبيد بمكائدها آخر نسمة تنبض بفكرة التشيع لأهل البيت عليهم السلام. ولمعاوية قابلياته الممتازة وإمكاناته الكبيرة لتنفيذ هذه الخطة وتصفية الحساب التاريخي الطويل مع بني هاشم.

أما الحسين عليه السلام فقد كُفي هذا الاحتمال حين كان خصمه الغلام المترف، وبما ضمنه سيف الإرهاب الذي طارد الناس فحفظ في غيابات السجون وأكناف المهاجر وكهوف الجبال وبطون الصحاري سيلاً من المؤمنين الأبطال الذين كانوا يحملون مبادئ أهل البيت عليهم السلام، وكانوا يؤتمنون على إيصال هذه المبادئ إلى الأجيال بعدهم.

ولهذا مضى الحسين عليه السلام في تصميمه مطمئناً على رسالته وعلى أهدافه وعلى مستقبلهما من أعدائه.

ولكن الحسن عليه السلام لم يحظ بمثل هذا الاطمئنان على أهدافه المقدّسة، وفي أعدائه معاوية وحاشيته المخيفة وخططهم الناصبة الحقود، التي لا حدَّ لفظاعتها في العداوة والحقد.

وأخيراً، فقد أفاد الحسين عليه السلام – كل الإفادة – من جنايات معاوية في غاراته الظالمة على بلاد الله الآمنة المطمئنة، وفي موقفه من شروط صلح الحسن عليه السلام، وفي قتله الحسن عليه السلام بالسم، وفي بيعته لابنه يزيد، وفي أشياء كثيرة أخرى، بما زاد حركته في وجه الأموية قوة ومعنوية وانطباقاً صريحاً على المشاعر ووجهة النظر الإسلامية في الرأي العام.

وأفاد – إلى ذلك أيضاً – من مزالق خصمه الشاب المأخوذ بالقرود والخمور خليفة معاوية، فكانت تلك بأجمعها عوامل تعينه وتتحرك معه في تنفيذ أهدافه.

أما الحسن عليه السلام فقد أعيته – كما مر – ظروفه من أصحابه والمتظاهرين بنصرته وظروفه من أعدائه المتآمرين عليه بالسر والعلن، فحالت بينه وبين الاستمرار في الحرب.

لذلك رأى لزاماً أن يطور طريقة عمله وجهاده ضد خصمه وأن يفتتح الحرب الجديدة من طريق أخرى تسمى «الصلح».

وما كانت الألغام التي وضعها الحسن عليه السلام في الشروط التي أخذها على معاوية إلا وسائله الدقيقة التي حكمت على معاوية وأحابيله بالفشل الذريع والفضيحة الشنيعة في التاريخ.

ومـن الصـعب حقـاً أن نميّـز – بعـد هـذا كلـه – أي الأخـوين عليهما السلام كـان أكـبر أثـراً في جهـاده، وأشـد نفـوذاً إلى أهدافـه، وأبعـد إمعانـاً في التشهير بأعدائه[١].

وهكذا يتّضح مما مر تفصيله:

أن باب الشهادة كان مغلقاً بوجه الحسن عليه السلام، لأن موته – هـو – بعـد موت كل من سيصمد معه من بقايا الإسلام من المؤمنين الصـادقين، وأمـام عدو غادر ماكر كمعاوية، وربما بيد أناس كان يضمهم جيشـه ويتظـاهرون بكونهم معه. أن موته – بهذا الشكل – كان أضيع موتة عرفها التاريخ.

أمـا الحسـين عليه السلام فلـم يكـن أمامـه إلا الشـهادة، لأنهـا الطريـق نحـو المسـتقبل المنشـود، والفتيـل الـذي سيشـعل المجتمـع الإسـلامي نـاراً بوجه الطغاة.

وربـما يـتجلى لنـا هـذا المعنـى أكثـر فـأكثر إذا علمنـا أن الشـهادة ليسـت عمليـة انتحاريـة يقـوم بهـا المجاهـد في سـبيل الله كـما يقـوم بشـرب السم من يريد التخلص من الحياة.

إن الشهادة في الفهم الإسلامي الصحيح عملية بناء.

والشـهادة التـي لـيس لهـا أي أثـر في بنـاء الغـد المـأمول وصـنع الحياة المرجوة ليست شهادة أبداً.

---

(١) صلح الحسن عليه السلام: ٣٧١ – ٣٧٤.

وعلى ضوء ظروف الحسن عليه السلام كان واضحاً جداً أن شهادته في تلك الحالة لا تنطوي على أي مردود سوى تدعيم موقف عدوه وتحقيق مآربه الشريرة، ولذلك فليس لها أي معنى أو مبرر.

أما على ضوء ظروف الحسين عليه السلام فإننا نجد أن حياته في تلك الحالة لا تنطوي على أي مردود سوى تدعيم موقف عدوه وتحقيق مآربه الشريرة أيضاً، ولذلك فليس لها أي معنى أو مبرر.

ومن هنا أبى الحسن عليه السلام الشهادة لأنها بمثابة انتحار.

ومن هنا أبى الحسين عليه السلام الحياة لأنها بمثابة إقرار بالواقع الفاسد.

وإيثار الحسن عليه السلام الصلح والمهادنة هو بنفسه إيثار الحسين عليه السلام الموت والشهادة، لأنهما بذلك كانا يرفعان قواعد البناء ويضعان أسس صنع الحياة.

وهكذا «كانا عليهما السلام وجهين لرسالة واحدة، كل وجه منهما في موضعه منها وفي زمانه من مراحلها، يكافئ الآخر في النهوض بأعبائها، ويوازنه بالتضحية في سبيلها».

«وكانت شهادة الطف حسنية أولاً، وحسينية ثانياً، لأن الحسن عليه السلام أنضج نتائجها ومهّد أسبابها»[١] كما يأتي في الكتاب القادم إن شاء الله تعالى.

وهكذا أصبح الصلح – بحكم كونه الطريق الوحيد للنصر القادم من بعيد – سلاحاً جديداً ومبيداً بيد الإمام الحسن عليه السلام شهره في وجه عدوه – من حيث لا يشعر ذلك العدو بخطورة هذا السلاح – فقتله به شر قتلةٍ ولكن بعد حين. وعلم الناس حينذاك معنى جواب الإمام عليه السلام حين سئل عن أسباب الصلح وفوائده وعوائده فقال: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾.

وعندما انهار حكم بني أمية تحت ضربات ثارات الحسين عليه السلام التي كانت من أصداء صلح الحسن عليه السلام ونتائجه عرف الناس مغزى تمثل الإمام الحسن عليه السلام بآية ليلة القدر، فقد ظهر بنتيجة الحساب والتدقيق أن حكم بني أمية قد امتد ألف شهر، وكان الصلح – باعتبار ما انطوى عليه من رضا الله وباعتبار أن الحسن عليه السلام قد رضي به تقرباً إلى الله – خيراً من حكم الضلال والطغيان الذي يمتد ألف شهر، كما أن هذا الصلح بما سيفضح به معاوية وبما سيعريه به أمام الأمة سيضع حداً لحكم هذه الأسرة المشؤومة والشجرة الملعونة فلا يمتد أكثر من ألف شهر.

---

(١) السيد عبد الحسين شرف الدين/ مقدمة صلح الحسن عليه السلام: ١٢-١٣.

وكـان هـذا الجـواب مـن الإمـام عليه السلام – عـلى إيجـازه واقتضـابه – أبلـغ مـن أي شرح وتفصـيل لـو وعـى الواعـون يومـذاك خطـط أبي محمد عليه السلام وأهدافه البعيدة المدى.

ولما كانت الظروف التي رافقت الصلح على جانب كبير من الدقة والحساسية والصعوبة، فإن الإمام لم يتح له أن يشرح أسرار دوافع الصلح ونتائجه المتوقعة، لأن ذلك سينبّه العدو على ما هو غافل عنه وغير ملتفت إليه، ولعل من الممكن أن يتراجع معاوية حينذاك عن طلب الصلح فيخسر الحسن عليه السلام هذا المكسب الكبير المتاح، وهذا السلاح الماضي الفتاك.

ولكن ذلك لم يمنع الإمام عليه السلام من إشارات مقتضبة إلى أسرار تلك الدوافع والبواعث كان يرد بها على أولئك المستفسرين أو الغاضبين من أصحابه.

سأله مرة أحد أصحابه قائلاً:

«يا بن رسول الله لم هادنت معاوية وصالحته، وقد علمتَ أن الحق لك دونه، وأن معاوية ضال طاغ؟».

فقال الإمام عليه السلام مجيباً في جملة رد طويل:

«علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله ﷺ لبني ضمرة وبني أشجع، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية، أولئك كفار بالتنزيل، ومعاوية وأصحابه كفار بالتأويل... ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قُتل»(١).

ويقول في جواب سائل آخر:

«لو كنت بالحزم في أمر الدنيا وللدنيا أعمل وانصب، ما كان معاوية بأبأس مني وأشد شكيمة، ولكان رأيي غير ما رأيتم»(٢).

ويقول في جواب سائل ثالث:

قد «صالحت بقيا على شيعتنا خاصة من القتل، فرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما»(٣).

ويقول في جواب سائل رابع: «ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل»(٤).

---

(١) البحار: ٤٤/ ٢.

(٢) الإمامة والسياسة: ١/ ١٥١.

(٣) الأخبار الطوال: ٢٢٠.

(٤) الأخبار الطوال: ٢٢١.

وأدرك معاوية بعد فترة من الزمن أن الحسن عليه السلام قد خدعه الخديعة العظمى في هذا الصلح – والحرب خدعة كما جاء في الحديث الشريف[1] – وأنه قد سقط في هوة عميقة سحيقة الغور بتوقيع تلك الشروط، وأنه مهما حاول التخلص من قيودها والتمرد عليها فإن عهود الله التي أعطاها للحسن عليه السلام ستلاحقه في كل آن، وأن الفضيحة من نقض الأيمان بعد توكيدها لن تبارحه أبداً. فلم يطق صبراً على ذلك ولم يعد في مقدوره أن يتحمل.

وتكشف ذكاؤه المزعوم ودهاؤه الذي طبّل له المرتزقة عن أخس وسيلة وأحط خطة عرفها أسلوب الحكم والحاكمين على مر التاريخ، ألا وهو دس السم للإمام عليه السلام والتخلص منه نهائياً وإلى آخر الدهر.

ورأى معاوية أن خير من يقوم بهذه المهمة ويضمن نجاحها هي صاحبة الضمير الميت والنفاق الموروث جعدة بنت الأشعث بن قيس زوجة الإمام عليه السلام، كما كان خير من يقوم بالوساطة بينه وبينها ذلك الرجل البعيد عن الدين والخلق والشرف، المعروف

---

(١) صحيح البخاري: ٤/ ٢٤٤ و٩/ ٢١، وصحيح مسلم: ٣/ ١١٤، وسنن أبي داود: ٢/ ٤١، وسنن الترمذي: ٤/ ١٩٤، وسنن ابن ماجة: ٢/ ٩٤٥، ومسند أحمد: ١/ ٨١.

بـ «الـوزغ ابـن الـوزغ» عـلى لسـان رسـول ﷺ وطريـده مـن المدينـة مـدة حياته، ألا وهو مروان بن الحكم.

وأطمـع معاويـة جعـدة – إن هـي قامـت بهـذه المهمـة القـذرة – أن يـدفع لهـا مائـة ألـف درهـم ويزوجهـا مـن يزيـد. فأطاعـت الأمـر، وسـقت زوجهـا وإمامهـا وخليفتهـا الشـرعي السـم القتّـال، فقضـى الحسـن عليه السلام نحبـه صـابراً محتسـباً، وبـاء معاويـة وشركـاؤه بهـذا الاثـم الفظيع فـيما بـاءوا بـه مـن آثـام، ثـم عـادت جعـدة – بعـد ذلـك – صـفر اليدين من الزواج بيزيد، ولم تحظ بغير المال السحت فقط[1].

وعنـدما أشرف الحسـن عليه السلام عـلى المـوت أوصى – كـما يـروي أبـو الفـرج – «أن يـدفن مـع رسـول الله ﷺ، فمنـع مـروان بـن الحكـم مـن ذلـك، وركبـت بنـو أميـة في السـلاح، وجعـل مـروان يقـول: يـا رب هيجـا هـي خـير مـن دعـه، أيـدفن عـثمان في أقصـى البقيـع ويـدفن الحسـن في بيـت رسـول الله، والله لا يكـون ذلـك أبـداً وأنـا أحمـل

---

(١) يراجع في القضايا السالفة: المنتخب من ذيل المذيل – ذيول تاريخ الطبري -: ٥١٤، ومروج الذهب: ٢/ ٣٠٢-٣٠٣، ومقاتل الطالبيين: ٧٣-٧٤، والاستيعاب: ١/ ٣٧٤، والكامل لابن الأثير: ٣/٢٢٨، وذخائر العقبى: ١٤١، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ٤٩-٥١، وتاريخ أبي الفدا: ١/ ١٨٣، والبداية والنهاية: ٨/ ٤٢-٤٣، والإصابة: ١/ ٣٣٠.

السيف، فكادت الفتنة تقع»، وروى: أن «عائشة ركبت بغلا واستنفرت بني أمية: مروان بن الحكم ومن كان هناك منهم ومن حشّمهم»، وقال القائل: «فيوماً على بغل ويوماً على جمل»[١].

ويروي اليعقوبي: أن القاسم بن محمد بن أبي بكر أتى عمته عائشة فقال لها: «يا عمة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء»[٢].

ولكن المفيد في روايته يقول: أن الحسن عليه السلام قد أوصى أخاه الحسين عليه السلام أن يحمل سريره إلى قبر جده صلى الله عليه وآله لتجديد العهد به وبزيارته وأن يرد بعد ذلك إلى البقيع فيدفن إلى جوار جدته فاطمة بنت أسد رضي الله عنها، كما روى أن الحسن عليه السلام قد نبّه أخاه إلى أن القوم «يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيجلبون في ذلك ويمنعونكم منه، وبالله أقسم عليك ألا تهريق في أمري محجمة دم».

ويضيف المفيد راوياً: أن آل مروان لما تجمعوا وأمامهم السيدة عائشة على بغلها قال الحسين عليه السلام مخاطباً هؤلاء الغوغاء: «والله لولا عهد الحسن إليّ بحقن الدماء وأن لا أهريق في أمره محجمة دم

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٤-٧٥، وشرح نهج البلاغة: ١٦/ ٥٠-٥١.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٠٠.

لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا»[١].

ثم أخذ الحسين عليه السلام جثمان أخيه ودفنه في البقيع كما أوصاه أخوه، ولقد غص البقيع بالناس «ولو طرحت فيه أبرة ما وقعت إلا على رأس إنسان»[٢]، و«مكث الناس يبكون على الحسن بن علي عليه السلام سبعاً ما تقوم الأسواق»[٣]، و«حدّ نساء بني هاشم عليه سنة» بعد أن أقاموا النوح عليه شهراً[٤].

ووقف محمد بن الحنفية على جثمان أخيه مؤبّناً فكان مما قال:

«رحمك الله أبا محمد، فوالله لئن عزّت حياتك لقد هدّت وفاتك، ونعم الروح روح عمّر به بدنك، ونعم البدن بدن ضمه كفنك، ولم لا تكون كذلك وأنت سليل الهدى وحلف أهل التقوى وخامس أصحاب الكساء، غذّتك كف الحق، وربيت في حجر الإسلام، وأرضعتك ثديا الإيمان، فطب حياً وميتاً، فعليك السلام

---

(١) الإرشاد: ١٩٨-١٩٩.

(٢) المنتخب من ذيل المذيل – ذيول تاريخ الطبري – : ٥١٤، والإصابة: ١/ ٣٣٠.

(٣) المنتخب من ذيل المذيل – ذيول تاريخ الطبري –: ٥١٤.

(٤) المنتخب من ذيل المذيل – ذيول تاريخ الطبري –: ٥١٤.

ورحمة الله، وإن كانت أنفسنا غير قالية لحياتك، ولا شاكة في الخيار لك»[١].

وكتب عامل المدينة إلى معاوية يعلمه نبأ وفاة الإمام عليه السلام، «فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً حتى سجد وسجد من كان معه. فبلغ ذلك عبد الله بن عباس – وكان بالشام يومئذ – فدخل على معاوية، فلما جلس قال معاوية: يا بن عباس هلك الحسن بن علي، فقال ابن عباس: نعم هلك إنا لله وإنا إليه راجعون، ترجيعاً مكرراً، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته... ولقد مات وهو خير منك، ولئن أُصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيراً منه جده رسول الله.. ثم شهق ابن عباس، وبكى من حضر في المجلس، وبكى معاوية، فما رأيت يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم... ثم قال: يا بن العباس أصبحت سيد قومك من بعده، فقال ابن عباس: أما ما أبقى الله أبا عبد الله الحسين فلا»[٢].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٠٠، وقريب من هذا النص في مروج الذهب: ٢/ ٣٠٤.

(٢) الإمامة والسياسة: ١/ ١٥٩-١٦٠، وبعضه في تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٠١، والأخبار الطوال: ٢٢٢، ومروج الذهب: ٢/ ٣٠٥.

وليس لنا ما نختم به الكلام تعليقاً على فعلة معاوية الشنعاء وجريمته النكراء بقتل سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وأحد سيِّدَي شباب أهل الجنة إلا أن نردد قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾.

صدق الله العلي العظيم

* * *

ملاحق الكتاب

الملحق الأول: نص المناظرة التي جرت في مجلس معاوية بين الإمام الحسن عليه السلام وكبار رجال الدولة الأموية.

الملحق الثاني: صورة الكتاب الذي أنشأه الخليفة العباسي المعتضد بالله في شأن بني أمية.

أورد – في أدناه – نصين تاريخيين مهمين يكادان يكونان وثيقتين حافلتين بالمعلومات القيمة والأسرار الدفينة، التي لا مناص للراغب في الوقوف على الحقائق الموضوعية من الاطلاع عليها والتأمل فيها، ليتعرف أكثر فأكثر على واقع أولئك الرجال الذين لعبوا تلك الأدوار التخريبية الكبرى في صدر الإسلام، لحرف المسيرة عن طريقها القويم، ولاغتصاب السلطة من أصحابها الشرعيين.

وقد رويتُ هذين النصين كما ورداً في المصادر المعتمدة؛ وبدون إثقال الهوامش بالشروح والتعاليق، لعلمي بأن فيهما الكفاية والغنى عن كل تطويل وتفصيل.

الملحق الأول:

صورة المناظرة التي جرت في مجلس معاوية بين الإمام الحسن عليه السلام وكبار رجال الدولة الأموية:

«روى الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات قال: اجتمع عند معاوية: عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن بن علي قوارص، وبلغه عنهم مثل ذلك، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أن الحسن قد أحيا أباه وذكره، وقال فصُدِّق، وأمر فأطيع، وخفقت له النعال، وأن ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا.

قال معاوية: فما تريدون؟ قالوا: ابعث عليه فليحضر لنسبَّه ونسبَّ أباه، ونعيره ونوبّخه، ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرره بذلك، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئاً من ذلك. قال معاوية: إني لا أرى ذلك ولا أفعله، قالوا: عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن، فقال: ويحكم لا تفعلوا! فوالله ما رأيته قط جالساً عندي إلا خفتُ مقامه وعَيبه لي، قالوا: ابعث إليه على كل حال. قال: إن بعثت إليه لأنصفنَّه منكم.

فقال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقنا، أو يربى قوله على قولنا؟ قال معاوية: أما إني إن بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله، قالوا: مُرْهُ بذلك. قال أما إذ عصيتموني، وبعثتم إليه وأبيتم إلا ذلك فلا تمرضوا له في القول، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، ولا يلصق بهم العار، ولكن اقذفوه بحجره، تقولون له: إن أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء من قبله.

فبعث إليه معاوية، فجاءه رسوله، فقال: إن أمير المؤمنين يدعوك.

قال: مَن عنده؟ فسمّاهم له. فقال الحسن عليه السلام: ما لهم خرَّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. ثم قال: يا جارية، ابغيني ثيابي، اللهم إني أعوذ بك من شرورهم، وأدرأ بك في نحورهم، واستعين بك عليهم، فاكفنيهم كيف شئت وأنّا شئت، بحول منك وقوة، يا أرحم الراحمين.

فلما دخل على معاوية، أعظمه وأكرمه، وأجلسه إلى جانبه، وقد ارتاد القوم وخطروا خطران الفحول، بغياً في أنفسهم وعلواً، ثم قال: يا أبا محمد، إن هؤلاء بعثوا إليك وعصوني.

فقال الحسن عليه السلام: سبحان الله، الدار دارك، والإذن فيها إليك، والله إن كنتَ أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم، إني لأستحيي

لـك مـن الفحـش. وإن كـانوا غلبـوك عـلى رأيـك، إني لأسـتحيي لـك مـن الضـعف، فـأيهما تقـرر، وأيهـما تنكـر؟ أمـا إني لـو علمـتُ بمكـانهم جئتُ معـي بمـثلهم مـن بنـي عبـد المطلـب، ومـا لي أن أكـون مستوحشـاً منك ولا منهم، إن وليي الله، وهو يتولى الصالحين.

فقـال معاويـة: إني كرهـت أن أدعـوك، ولكـن هـؤلاء حملـوني عـلى ذلـك مـع كراهتـي لـه، وإن لـك مـنهم النَّصَـفَ ومنـي، وإنـما دعونـاك لنقـررك أن عـثمان قتـل مظلومـاً، وأن أبـاك قتلـه، فاسـتمع مـنهم ثـم أجبهم، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلم بكل لسانك.

فـتكلم عمـرو بـن العـاص، فحمـد الله وصـلى عـلى رسـوله، ثـم ذكر علياً عليه السلام، فلم يترك شيئاً يعيبه بـه إلاّ قالـه، وقـال: انـه شـتم أبـا بكـر وكره خلافتـه، وامتنـع مـن بيعتـه، ثـم بايعـه مكرهـاً، وشرك في دم عمـر، وقتل عثمان ظلماً، وادّعى من الخلافة ما ليس له.

ثم ذكر الفتنـة يعـيره بهـا، وأضـاف إليـه مسـاوئ، وقـال: إنكـم يـا بنـي عبـد المطلـب لم يكـن الله ليعطـيكم الملـك عـلى قـتلكم الخلفـاء، واسـتحلالكم مـا حـرم الله مـن الـدماء، وحرصـكم عـلى المُلـك، وإتيـانكم مـا لا يحـل. ثـم إنـك يـا حسـن، تحـدث نفسـك أن الخلافـة صـائرة إليـك، ولـيس عنـدك عقـل ذلـك ولا لبـه، كيـف تـرى الله سبحانه سلبك عقلـك، وتركـك أحمـق قـريش، يُسْـخَر منـك ويُهـزأ بـك،

وذلك لسوء عمل أبيك. وإنما دعوناك لنسبّك وأباك. فأما أبوك فقد تفرد الله به وكفانا أمره، وأما أنت فإنك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثم من الله، ولا عيب من الناس، فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا؟ فإن كنتَ ترى إنا كذبنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا، وإلا فاعلم انك وأباك ظالمان.

ثم تكلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فقال: يا بني هاشم، إنكم كنتم أخوال عثمان، فنعم الولد كان لكم، فعرف حقكم، وكنتم اصهاره فنعم الصهر كان لكم، يكرمكم، فكنتم أول من حسده، فقتله أبوك ظلماً، لا عذر له ولا حجة، فكيف ترون الله طلب بدمه، وأنزلكم منزلتكم، والله أن بني أمية خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أمية، وأن معاوية خير لك من نفسك.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان، فقال: يا حسن، كان أبوك شر قريش لقريش، أسفكها لدمائها، وأقطعها لأرحامها، طويل السيف واللسان، يقتل الحي ويعيب الميت، وأنك ممن قتل عثمان، ونحن قاتلوك به، وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحاً، ولا في ميراثها راجحاً، وأنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان، وأن في الحق أن نقتلك وأخاك به، فأما أبوك فقد كفانا الله أمره، وأقاد منه، وأما أنت فوالله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم ولا عدوان.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة، فشتم علياً عليه السلام، وقال: والله ما أعيبه في قضية يخون، ولا في حكم يميل، ولكنه قتل عثمان، ثم سكتوا.

فتكلم الحسن بن علي عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله، ثم قال: أما بعد يا معاوية، فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني، فحشاً ألِفْتَه وسوء رأي عُرِفتَ به، وخُلقاً سيئاً ثبْتَ عليه، وبغياً علينا، عداوة منك لمحمد وأهله، ولكن اسمع يا معاوية، واسمعوا فلأقولن فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم.

أنشدكم الله أيها الرهط، أتعلمون أن الذي شتمتوه منذ اليوم، صلى القبلتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزى غواية!

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كلتيهما بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت يا معاوية بإحداهما كافر، وبالأخرى ناكث!

وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيماناً، وأنك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم، تسرون الكفر، وتظهرون الإسلام، وتُستمالون بالأموال!

وأنشدكم الله ألستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه، ثم

لقيكم يوم أُحد ويوم الأحزاب، ومعه راية رسول الله ﷺ، ومعك ومع أبيك راية الشرك، وفي كل ذلك يفتح الله له ويفلج حجته وينصر دعوته، ويصدق حديثه، ورسول الله ﷺ في تلك المواطن كلها عنه راض، وعليك وعلى أبيك ساخط!

وأنشدك الله يا معاوية، أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر، وأنت تسوقه، وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم العن الراكب والقائد والسائق».

أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبتَه إلى أبيك لّما همَّ أن يسلم، تنهاه عن ذلك:

يا صخر لا تسلمنْ يوماً فتفضحنا   بعد الذين ببدر أصبحوا فرقا

خالي وعمي وعم الأم ثالثهم   وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا

لا تركننَّ إلى أمر تكلفنا   والراقصات به في مكة الخرقا

فالموت أهون من قول العداة: لقد   حاد ابن حرب عن العزى اذن فرقا

والله لما أخفيتُ من أمرك أكبر مما أبديت.

وأنشدكم الله أيها الرهط، أتعلمون أن علياً عليه السلام حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله ﷺ فأنزل فيه: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾[1]، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه إلى بني قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا، فبعث علياً عليه السلام بالراية، فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، وفعل في خيبر مثلها.

ثم قال: يا معاوية أظنك لا تعلم أني أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله لما أراد أن يكتب كتاباً إلى بني خزيمة، فبعث إليك ابن عباس، فوجدك تأكل، ثم بعثه إليك مرة أخرى فوجدك تأكل، فدعا عليك الرسول بجوعك ونهمك إلى أن تموت.

وأنتم أيها الرهط: نشدتكم الله، ألا تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردها:

أولها: يوم لقي رسول الله صلى الله عليه وآله خارجاً من مكة إلى الطائف، يدعو ثقيفاً إلى الدين، فوقع به وسبه وسفهه وشتمه وكذبه وتوعده، وهمّ أن يبطش به، فلعنه الله ورسوله وصرف عنه.

والثانية: يوم العير، إذ عرض لها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي جائية من الشام، فطردها أبو سفيان، وساحل بها، فلم يظفر المسلمون بها ولعنه رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها.

---

(١) سورة المائدة: ٨٧.

والثالثة: يوم أُحد، حيث وقف تحت الجبل، ورسول الله ﷺ في أعلاه وهو ينادي: أُعلُ هبل! مراراً، فلعنه رسول الله ﷺ عشر مرات، ولعنه المسلمون.

والرابعة: يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فلعنه رسول الله وابتهل.

والخامسة: يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام، والهدي معكوفاً أن يبلغ محله، ذلك يوم الحديبية، فلعن رسول الله ﷺ أبا سفيان، ولعن القادة والأتباع، وقال: «ملعونون كلهم، وليس فيهم من يؤمن»، فقيل: يا رسول الله، أفما يرجى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة؟ فقال: «لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع، وأما القادة فلا يفلح منهم أحد».

والسادسة: يوم الجمل الأحمر.

والسابعة: يوم وقفوا لرسول الله ﷺ في العقبة ليستنفروا ناقته، وكانوا اثني عشر رجلاً، منهم أبو سفيان، فهذا لك يا معاوية.

وأما أنت يا بن العاص، فإن أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولاً، من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جزارها، ألأمهم حسباً، وأخبثهم منصباً، ثم قام أبوك فقال: أنا شانئ محمد الأبتر، فأنزل الله فيه ما أنزل.

وقاتلت رسول الله ﷺ في جميع المشاهد، وهجوته وآذيته بمكة، وكدته كيدك كله، وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة.

ثم خرجتَ تريد النجاشي مع أصحاب السفينة، لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكة، فلما أخطأك ما رجوت ورجعك الله خائباً، وأكذبك واشياً، جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد، فوشيت به إلى النجاشي، حسداً لما ارتكب مع حليلته، ففضحك الله وفضح صاحبك.

فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام، ثم أنك تعلم، وكل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتاً من الشعر، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهم العنه بكل حرف ألف لعنة» فعليك إذن من الله ما لا يحصى من اللعن.

وأما ما ذكرتَ من أمر عثمان، فأنت سعرت عليه الدنيا ناراً، ثم لحقت بفلسطين، فلما أتاك قتله، قلتَ: أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها، ثم حبست نفسك إلى معاوية، وبعت دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ود، وبالله ما نصرت عثمان حياً ولا غضبت له مقتولاً، ويحك يا بن العاص! ألستَ القائل في بني هاشم لما خرجت من مكة إلى النجاشي:

تقول ابنتي أين هذا الرحيل ... وما السَّيْرُ مني بمستنكر
فقلت: ذريني فإني امرؤ ... أريد النجاشي في جعفر
لأكويه عنده كيةً ... أقيم بها نخوة الأصعر
وشانئ أحمد من بينهم ... وأقْوَلُهم فيه بالمنكر
وأجري إلى عتبة جاهداً ... ولو كان كالذهب الأحمر
ولا أنثني عن بني هاشم ... وما اسطعت في الغيب والمحضر
فإن قبل العتب مني له ... وإلا لويت له مشفري

فهذا جوابك، هل سمعته!.

وأما أنت يا وليد، فوالله ما ألومك على بغض عليّ عليه السلام، وقد جلدك ثمانين في الخمر، وقتل أباك بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله صبراً، وأنت الذي سمّاه الله الفاسق، وسمى علياً عليه السلام المؤمن، حيث تفاخرتما فقلت له: أسكت يا علي، فأنا أشجع منك جناناً، وأطول منك لساناً، فقال لك علي عليه السلام: أسكت يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق.

فأنزل الله تعالى في موافقة قوله: ﴿**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ**﴾[1]، ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضاً: ﴿**إِنْ**

---

(١) سورة السجدة: ١٨.

جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[1]. ويحك يا وليد! مهما نسيت، فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه:

أنزل الله في الكتاب علينا ... في علي وفي الوليد قرآنا

فتبوّى الوليد إذ ذاك فسقا ... وعلي مبوأُ إيمانا

ليس من كان مؤمناً عمرك ... الله كمن كان فاسقاً خوانا

سوف يدعى الوليد بعد قليل ... وعلي إلى الحساب عيانا

فعلي يجزى بذاك جنانا ... ووليد يجزى بذاك هوانا

رب جد لعقبة بن ابانٍ ... لابس في بلادنا تبّانا

وما أنت وقريش؟ إنما أنت علج من أهل صفورية، وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد وأسن ممن تدعى إليه.

وأما أنت يا عتبة، فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك، ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك، وما عندك خير يرجى، ولا شر يتقى، وما عقلك وعقل أمَتِكَ إلا سواء، وما يضر علياً عليه السلام لو سببته على رؤوس الأشهاد!

وأما وعيدك إياي بالقتل، فهلا قتلت اللحياني إذ وجدته على فراشك! أما تستحيي من قول نصر بن حجاج فيك:

---

(١) سورة الحجرات: ٦.

يـا للرجـال وحـادث الأزمـان ولسـبة تخـزي أبـا سـفيان
نبئـت عتبـة خانـه في عرسـه جبس لئيم الأصل من لحيان

وبعد هذا ما أربأ بنفسي عن ذكره لفحشه، فكيف يخاف أحد سيفك، ولم تقتل فاضحك؟ وكيف ألومك على بغض علي عليه السلام، وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر، وشرك حمزة في قتل جدك عتبة، وأوحدك من أخيك حنظلة في مقام واحد!

وأما أنت يا مغيرة، فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه، وإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي، فإني طائرة عنك، فقالت النخلة، وهل علمت بك واقعة عليّ فأعلم بك طائرة عني!

والله ما نشعر بعداوتك إيانا، ولا اغتممنا إذ علمنا بها، ولا يشق علينا كلامك وإن حد الله في الزنا لثابت عليك، ولقد درأ عمر عنك حقاً، الله سائله عنه!

ولقد سألتَ رسول الله صلى الله عليه وآله: هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها؟ فقال: «لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا»، لعلمه بأنك زانٍ.

وأما فخركم علينا بالإمارة، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً﴾(١).

ثم قام الحسن عليه السلام فنفض ثوبه، وانصرف، فتعلق عمرو بن العاص بثوبه، وقال: يا أمير المؤمنين قد شهدت قوله في وقذفه أمي بالزنا وأنا مطالب له بحد القذف.

فقال معاوية: خل عنه لا جزاك الله خيراً. فتركه.

فقال معاوية: قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق عارضته، ونهيتكم أن تسبوه فعصيتموني، والله ما قام حتى أظلم علي البيت، قوموا عني، فلقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزم، وعدولكم عن رأي الناصح المشفق. والله المستعان(٢).

(١) سورة الإسراء: ١٦.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٦/ ٢٨٥-٢٩٤.

الملحق الثاني:

صورة الكتاب الذي أنشأه الخليفة العباسي أبو العباس المعتضد بالله في شأن بني أمية، سنة ٢٨٤هـ:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله العلي العظيم، الحليم الحكيم، العزيز الرحيم، المنفرد بالوحدانية، الباهر بقدرته، الخالق بمشيئته وحكمته، الذي يعلم سوابق الصدور، وضمائر القلوب، لا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات العلى، ولا في الأرضين السفلى، قد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، وضرب لكل شيء أمداً، وهو العليم الخبير. والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته، وخلق عباده لمعرفته، على سابق علمه في طاعة مطيعهم، وماضي أمره في عصيان عاصيهم، فبين لهم ما يأتون وما يتقون، ونهج لهم سبل النجاة، وحذرهم مسالك الهلكة، وظاهر عليهم الحجة، وقدم إليهم المعذرة، واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم، وأكرمهم به، وجعل المعتصمين بحبله والمتمسكين بعروته أولياءه وأهل طاعته، والعاندين عنه والمخالفين له أعداءه وأهل معصيته، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيَّ عن بينة، وإن الله لسميع عليم.

والحمد لله الذي اصطفى محمداً رسوله من جميع بريته واختاره لرسالته، وابتعثه بالهدى والدين المرتضى إلى عباده أجمعين، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين، وتأذَّن له بالنصر والتمكين. وأيده بالعز والبرهان المتين، فاهتدى به من اهتدى، واستنقذ به من استجاب له من العمى، وأضل من أدبر وتولى، حتى أظهر الله أمره، وأعز نصره، وقهر من خالفه، وأنجز له وعده، وختم به رسله، وقبضه مؤدياً لأمره، مبلغاً لرسالته، ناصحاً لأمته، مرضياً مهتدياً إلى أكرم مآب المنقلبين، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين، وعباده الفائزين، فصلى الله عليه أفضل صلاة وأتمها، وأجلها وأعظمها، وأزكاها وأطهرها، وعلى آله الطيبين.

والحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين وسلفه الراشدين المهتدين ورثة خاتم النبيين وسيد المرسلين والقائمين بالدين، والمقومين لعباده المؤمنين، والمستحفظين ودائع الحكمة، ومواريث النبوة، والمستخلفين في الأمة، والمنصورين بالعز والمنعة، والتأييد والغلبة، حتى يظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون.

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة من شبهة قد دخلتهم في أديانهم، وفساد قد لحقهم في معتقدهم، وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم، ونطقت بها ألسنتهم، على غير معرفة ولا

روية، وقلدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة ولا بصيرة، وخالفوا السنن المتبعة، إلى الأهواء المبتدعة، قال الله عز وجل: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾، خروجاً عن الجماعة، ومسارعة إلى الفتنة وإيثاراً للفرقة، وتشتيتاً للكلمة وإظهاراً لموالاة من قطع الله عنه الموالاة، وبتر منه العصمة، وأخرجه من الملة، وأوجب عليه اللعنة، وتعظيماً لمن صغّر الله حقه، وأوهن أمره، وأضعف ركنه، من بني أمية الشجرة الملعونة، ومخالفة لمن استنقذهم الله به من الهلكة، وأسبغ عليهم به النعمة، من أهل بيت البركة والرحمة، قال الله عز وجل: ﴿**يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك، ورأى في ترك إنكاره حرجاً عليه في الدين، وفساداً لمن قلده الله أمره من المسلمين، وإهمالاً لما أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين وتبصير الجاهلين، وإقامة الحجة على الشاكين، وبسط اليد على العاندين.

وأمير المؤمنين يرجع إليكم معشر الناس بأن الله عز وجل لما ابتعث محمداً بدينه، وأمره أن يصدع بأمره، بدأ بأهله وعشيرته، فدعاهم إلى ربه، وأنذرهم وبشرهم، ونصح لهم وأرشدهم، فكان من استجاب له وصدق قوله واتّبع أمره نفر يسير من بني أبيه، من بين مؤمن بما أتى به من ربه وبين ناصر له وإن لم يتبع دينه، اعزازاً له

وإشفاقاً عليه، لماضي علم الله فيمن اختار منهم ونفذت مشيئته فيما يستودعه إياه من خلافته وارث نبيه، فمؤمنهم مجاهد بنصرته وحميته، يدفعون من نابذه، وينهرون من عارضه وعانده، ويتوثقون له ممن كاتفه وعاضده، ويبايعون له من سمح بنصرته، ويتجسسون له أخبار أعدائه، ويكيدون له بظهر الغيب كما يكيدون له برأي العين، حتى بلغ المدى، وحان وقت الاهتداء، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديق رسوله، والإيمان به، بأثبت بصيرة، وأحسن هدى ورغبة، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة، وأهل بيت الدين – أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً – ومعدن الحكمة، وورثة النبوة وموضع الخلافة، وأوجب لهم الفضيلة، وألزم العباد لهم الطاعة.

وكان ممن عانده ونابذه، وكذبه وحاربه من عشيرته، العدد الأكثر، والسواد الأعظم، يتلقونه بالتكذيب والتثريب، ويقصدونه بالأذية والتخويف، ويبادونه بالعداوة، وينصبون له المحاربة، ويصدون عنه من قصده، وينالون بالتعذيب من اتّبعه. وأشدهم في ذلك عداوة وأعظمهم له مخالفة، وأولهم في كل حرب ومناصبة، لا يرفع على الإسلام راية إلا كان صاحبها وقائدها ورئيسها، في كل مواطن الحرب، من بدر واحد والخندق والفتح... أبو سفيان بن

حرب وأشياعه من بني أمية، الملعونين في كتاب الله، ثم الملعونين على لسان رسول الله في عدة مواطن، وعدة مواضع، لماضي علم الله فيهم وفي أمرهم، ونفاقهم وكفر أحلامهم، فحارب مجاهداً، ودافع مكابداً، وأقام منابذاً حتى قهره السيف، وعلا أمر الله وهم كارهون، فتقوّل بالإسلام غير منطو عليه، وأسر الكفر غير مقلع عنه، فعرفه بذلك رسول الله والمسلمون، وميز له المؤلفة قلوبهم، فقبله وولده على علم منه، فمما لعنهم الله به على لسان نبيه، وأنزل كتاباً قوله: ﴿**وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً**﴾ ولا اختلاف بين أحد أنه أراد بها بني أمية.

ومنه قول الرسول وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به: «لعن الله القائد والراكب والسائق». ومنه ما يرويه الرواة من قوله: يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكرة، فما هناك جنة ولا نار. وهذا كفر صراح يلحقه به اللعنة من الله كما لحقت ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ**﴾. ومنه ما يروون من وقوفه على ثنية أُحد بعد ذهاب بصره، وقوله لقائده: ها هنا ذببنا محمداً وأصحابه.

ومنه الرؤيا التي رآها النبي فوجم لها، فما رُئي ضاحكاً بعدها، فأنزل الله: ﴿**وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ**﴾، فذكروا أنه رأى نفراً من بني أمية ينزون على منبره. ومنه طرد رسول الله الحكم بن أبي العاص لحكايته إياه، والحقه الله بدعوة رسوله آية باقية حين رآه يتخلج، فقال له: «كن كما أنت»، فبقي على ذلك سائر عمره، إلى ما كان من مروان في افتتاحه أول فتنة كانت في الإسلام، واحتقابه لكل دم حرام سفك فيها أو اريق بعدها.

ومنه ما أنزل الله على نبيه في سورة القدر: ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾، من ملك بني أمية. ومنه أن رسول الله دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه، فدافع بأمره، واعتل بطعامه، فقال النبي: «لا أشبع الله بطنه»، فبقي لا يشبع، ويقول: والله ما أترك الطعام شبعاً، ولكن إعياء.

ومنه أن رسول الله قال: «يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي»، فطلع معاوية. ومنه أن رسول الله قال: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه». ومنه الحديث المرفوع المشهور أنه قال: «أن معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي يا حنان يا منان. الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين».

ومنه انبراؤه بالمحاربة لأفضل المسلمين في الإسلام مكاناً وأقدمهم إليه سبقاً، وأحسنهم فيه أثراً وذكراً، علي بن أبي طالب. ينازعه حقه بباطله، ويجاهد أنصاره بضلاله وغواته، ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يحاولانه، من إطفاء نور الله وجحود دينه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

يستهوي أهل الغباوة، ويموه على أهل الجهالة بمكره وبغيه، الذي قدم رسول الله الخبر عنهما، فقال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار»، مؤثراً للعاجلة، كافراً بالآجلة، خارجاً من ربقة الإسلام، مستحلاً للدم الحرام، حتى سفك في فتنته وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذابين عن دين الله والناصرين لحقه، مجاهداً لله، مجتهداً في أن يعصى الله فلا يطاع، وتبطل أحكامه فلا تقام، ويخالف دينه فلا يدان. وأن تعلو كلمة الضلالة، وترتفع دعوة الباطل، وكلمة الله هي العليا، ودينه المنصور، وحكمه المتبع النافذ، وأمره الغالب، وكيد من حادّه المغلوبُ الداحض، حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما اتبعها، وتطوق تلك الدماء وما سفك بعدها، وسن سنن الفساد التي عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة.

وأباح المحارم لمن ارتكبها، ومنع الحقوق أهلها، واغتره الإملاء، واستدرجه الإمهال، والله له بالمرصاد:

ثم مما أوجب الله له به اللعنة، قتله من قتل صبراً من خيار الصحابة والتابعين وأهل الفضل والديانة، مثل عمرو بن الحمق وحجر بن عدي، فيمن قتل من أمثالهم، في أن تكون له العزة والملك والغلبة، ولله العزة والملك والقدرة، والله عز وجل يقول: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً**﴾. ومما استحق به اللعنة من الله ورسوله ادّعاؤه زياد بن سمية، جرأة على الله، والله يقول: ﴿**ادْعُوهُمْ لِآبائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ**﴾ ورسول الله يقول: «ملعون من ادّعى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه»، ويقول: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه جهاراً، وجعل الولد لغير الفراش، والعاهر لا يضره عهره، فأدخل بهذه الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة زوجة النبي وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرمه الله، وأثبت بها قربى قد باعدها الله، وأباح بها ما قد حظره الله، مما لم يدخل على الإسلام خلل مثله، ولم ينل الدين تبديل شبهه.

ومنه إيثاره بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبر الخمّير، صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدد والرهبة، وهو يعلم سفهه ويطلع على خبثه ورهقه، ويعاين سكراته وفجوره وكفره، فلما تمكن منه ما مكنه منه، ووطّأه له، وعصى الله ورسوله فيه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش، مما ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك عبد نفسه وغليله، وظن أن قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النوى لأعداء الله، فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا — جزع الخزرج من وقع الأسلْ
قد قتلنا القوم من ساداتكم — وعدلنا ميل بدر فاعتدل
فأهلّوا واستهلّوا فرحاً — ثم قالوا: يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم انتقم — من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا — خبر جاء ولا وحي نزل

هذا هو المروق من الدين، وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله.

ثم من أغلظ ما انتهك، وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله مع موقعه من رسول الله ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل، وشهادة رسول الله له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنة، اجتراء على الله، وكفراً بدينه، وعداوة لرسوله، ومجاهدة لعترته، واستهانة بحرمته، فكأنما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفار أهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمة، ولا يرقب منه سطوة، فبتر الله عمره، واجتث أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله بمعصيته.

هذا إلى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه، واتخاذ مال الله دولاً بينهم، وهدم بيته، واستحلال حرامه، ونصبهم المجانيق عليه، ورميهم إياه بالنيران، لا يألون له إحراقاً واخراباً، ولما حرم الله منه استباحة وانتهاكاً، ولمن لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً، ولمن آمنه الله بن إخافة وتشريداً.

واعلموا أيها الناس، أن الله عز وجل إنما أمر ليُطاع، ومثَّل ليُمتثل، وحكم ليقبل، وألزم الأخذ بسنة نبيه ليتبع، وأن كثيراً ممن ضل فالتوى، وانتقل من أهل الجهالة والسفاه ممن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وقد قال الله عز وجل: ﴿**فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ**﴾.

فانتهوا معاشر الناس عما يسخط الله عليكم، وراجعوا ما يرضيه عنكم، وارضوا من الله بما اختار لكم، والزموا ما أمركم به، وجانبوا ما نهاكم عنه، واتبعوا الصراط المستقيم، والحجة البينة، والسبل الواضحة، وأهل بيت الرحمة، الذين هداكم الله بهم بديئاً. واستنقذكم بهم من الجور والعدوان أخيراً. وأصاركم إلى الخفض والأمن والعز بدولتهم وشملكم الصلاح في أديانكم ومعايشكم في أيامهم، والعنوا من لعنه الله ورسوله، وفارقوا من لا تنالون القربة من الله إلا بمفارقته.

اللهم العن أبا سفيان بن حرب ومعاوية ابنه، ويزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم وولده، اللهم العن أئمة الكفر، وقادة الضلالة، وأعداء الدين، ومجاهدي الرسول، ومغيري الأحكام، ومبدلي الكتاب، وسفاكي الدم الحرام.

اللهم إنا نتبرأ إليك من موالاة أعدائك، ومن الإغماض لأهل معصيتك، كما قلت: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾.

يا أيها الناس، اعرفوا الحق تعرفوا أهله، وتأملوا سبل الضلالة تعرفوا سابلها، فإنه إنما يبين عن الناس أعمالهم، ويلحقهم بالضلال والصلاح آباؤهم، فلا يأخذكم في الله لومة لائم، ولا

يميلن بكم عن دين الله استهواء من يستهويكم وكيد من يكيدكم، وطاعة من تخرجكم طاعته إلى معصية ربكم»[1].

***

(١) تاريخ الطبري: ١٠/ ٥٥-٦٢.

الفهرس

مقدّمة المركز: ٥

المقدمة ٧

الإمام الحسن عليه السلام منذ ولادته حتى استشهاد أبيه عليه السلام ١٣

الحسن عليه السلام في إمامته وخلافته ٥٩

ملاحق الكتاب ١٣٥

الملحق الأول: ١٣٦

الملحق الثاني: ١٤٩

الفهرس ١٦١

من أجل التواصل بين المركز والقارئ

عزيزي القارئ الكريم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نشكر لك اقتناءك كتابنا: (الأئمة الاثنى عشر- الإمام الحسن بن علي عليه السلام / الشيخ محمد حسن آل ياسين) ورغبة منا في تواصل بناء بين المركز والقارئ، وباعتبار أن رأيك مهمٌ بالنسبة لنا، فيسعدنا أن تُرسل إلينا دائماً بملاحظاتك، لكي ندفع بمسيرتنا سوياً إلى الأمام.

الاسم الثلاثي واللقب: .... الوظيفة (اختياري): ....

المؤهل الدراسي: .... السن (اختياري): ....

العنوان (اختياري):

الدولة: .... المدينة: .... الحي: .... الشارع: .... رقم الدار: .... ص ب: ....

الهاتف (اختياري): ....

البريد الألكتروني: ....

❖ من أين عرفت هذا الكتاب؟

○ أثناء زيارة مكتبة ○ ترشيح من صديق ○ إعلان ○ معرض ○ غيرها

❖ من أين اشتريت الكتاب؟

اسم المكتبة أو المعرض: .... المدينة: .... العنوان: ....

❖ ما رأيك في الكتاب؟

○ ممتاز ○ جيد ○ عادي (لطفاً وضح لمَ) ....

❖ ما رأيك في إخراج الكتاب؟

○ عادي ○ جيد ○ متميّز (لطفاً وضح لمَ) ....

❖ ما رأيك في سعر الكتاب؟

○ مناسب ○ معقول ○ مرتفع (لطفاً أذكر سعر الشراء) .... العملة: ....

عزيزي القارئ انطلاقاً من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة... فلا تتوانَ ودَوّن ما يجول في خاطرك:

....

....

....

....

عنوان المراسلة:

العراق- النجف الأشرف- شارع المثنى- مركز الإمام الحسن عليه السلام للدراسات التخصصية

الموقع الرسمي: www.imamhassan.org | البريد الألكتروني: info@imamhassan.org

هاتف: ٠٠٩٦٤٧٨٠٣٣٥٨٠٢٠ | /AlimamAlhasan47